صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الاول

المجلة الجديدة

العدد الخامس
من
السنة السادسة

مايو ١٩٣٧

انعقد فى الشهر الماضى مؤتمر مونترو فى سويسرا بين المندوبين المصريين وبين مندوبى الدول الخاصة على الامتيازات . وغرض المؤتمر الغاء الامتيازات

وقد دارت المفاوضات فى جو حسن من المجاملة والتواد وان كانت فرنسا قد وقفت وقفات معارضة من وقت لآخر بدعوى الدفاع عن مصالحها الثقافية والاقتصادية

وقد تم الى الآن جملة أشياء كلها مما يغتبط له كل مصرى كان يجد فى هذه الامتيازات جرحا للكرامة الوطنية منها :

١ — الغاء مبدأ الامتيازات

٢ — ان القوانين التى تصدرها الحكومة المصرية ستسرى على الاجانب والمصريين بالسواء دون الحاجة الى استشارة الدول الاجنبية

٣ — تبقى المحاكم المختلطة اثنتى عشرة سنة هى فترة الانتقال

٤ — ينتقل اختصاص المحاكم القنصلية (فيما عدا الأحوال الشخصية) الى المحاكم المختلطة مدة فترة الانتقال

٥ — لن تكون المحاكم المختلطة مدة الانتقال كما كانت فى الماضى . فقد عينت مناصب الكبيرة للاعضاء المصريين كما حدد عدد الدول الاجنبية التى لها حق التقاضى امام هذه المحاكم

وليس شك فى أن مصر قد بكل فازت مامالبته وان الدول الكبرى اعترفت لها ليس بالاستقلال

بالیمین : بهو فى قصر كسرى بالمدائن

بل بالكرامة التى يستتبعها الاستقلال والتى كانت الامتيازات تمسها أكبر المساس . ونجاح الوفد المصري فى الغاء الامتيازات يضاف الى نجاحه السابق فى معاهدة الاستقلال هو برهان آخر على أن الامة لم تثق بالوفد عبثا وانما وثقت به لكفاءة والامانة معا

حركة القبعة

تسير حركة القبعة سيرا بطيئا ولكنه مع ذلك مطمئن . فان الشعور الحاد السابق بأننا أمة شرقية قد أغارت علينا أمة غربية كان يجعلنا على الدوام نجد فى القبعة لونا من الضعف والتقليد . فكنا نلجأ الى شرقيتنا كأنها الوسيلة للدفاع . أما بعد المعاهدة التى اعترفت لنا بالاستقلال فاننا لم نعد فى حاجة الى الاستمساك بالعادات الشرقية وأصبح من السهل علينا أن نأخذ بالاراء العصرية

وشباب الأمة جميعهم يكرهون الطربوش . وقد ستغنى عنه عدد كبير يسيرون عارى الرؤوس ولكنهم لا يرغبون كل الرغبة فى القبعة لهذا الشعور الذى ذكرناه والذى بدأ يخف . أما السيدات والاوانس فيقبلن على القبعة بلا تردد أو مناقشة . ودعاة الطربوش لا يقولون أن سيداتنا وأوانسنا قد فقدن وطنيتهن لهذا السبب . ونحن نوافق الاستاذ زكى طليمات على أنه يجب على الحكومة أن تسمح للموظفين والطلبة بأن يتخذوا القبعة اذا شاءوا . وأقل ما فى هذا العمل أنه يتفق والحرية وخاصة لأنه ليس فى قوانيننا مايثمن فى أن الطربوش شعار قومى بل ليس هناك ما ينص على أنه غمرة رسمية

الانتساب للجامعة

أحسن الأستاذ عبد الحميد عبد الحق بك فى تقديم مشروع قانون لاعادة الانتساب الى كليات الجامعة المصرية . وقد كان هذا الانتساب قائما ولكنه الغى بلا سبب معقول . ولا يمكن الحكومة أن تتعلل بالتكاليف لانها فى أغلب الظن قد تربح من الانتساب ولا تخسر منه . وعندنا الآن عدد كبير من المتعلمين العاطلين أو الموظفين ومن مصلحة الأمة أن تفتح لهم باب الانتساب حتى يشغلوا فراغهم بما يفيدهم ويزيدهم ثقافة ونورا وخاصة فى تلك الكليات التى لا يحتاج المتعلم فيها الى مرانة يدوية على التجارب العلمية

وتحسن وزارة المعارف كثيرا اذا هى أجازت الانتساب الذى يشغل فراغ شبابنا ويملأ نفوسهم طموحا شريفا

الرجعيون

لا نستطيع ان ننكر ان الظروف الحاضرة فى مصر تؤلم بعض الرجعيين دعاة « التقاليد » فقد

استياء بعضهم لاننا دافعنا عن الخمور دفاع الفكاهة فقط فى مناظرة مع الاستاذ غلوش رئيس جمعية منع الخمور - ومع ان المناظرة تبين حجج الدعاة الى المنع فان بعض الرجعيين ساءهم ان يروا دفاعا عن الاباحة كأنهم يعتقدون ان حجج القائلين بالاباحة أقوى من حجج القائلين بالمنع وان المناظرة تقرر النصر للاولين . والغريب انه قد غاب عن دعاة المنع ان فى مصر مليونا وربع مليون مسيحى لا يمنعهم دينهم من تناول الخمور . وانه ليس فى العالم كله دولة واحدة منعت الخمور غير الولايات المتحدة التى جربت المنع عشر سنوات ثم عادت الى الاباحة

وفى مصر حركة لتعميم القبعة . وحركة اخرى لالغاء الوقف وحركة ثالثة لعقد مؤتمر عالمى للجهال فى القاهرة . وكل هذا بلا شك يؤلم الرجعيين الذين يرون فيه مخالفة لما يسمونه « التقاليد »

ونحن نذكر هؤلاء الرجعيين بان التقاليد ليست كلها حسنة . فقد مضت علينا فترة من الزمن كان الحزب الوطنى يدعو فيها الى ان اسمى ما تطلبه مصر ان تكون قسما من السلطنة العثمانية

وكان هذا الخضوع المنشود من مصر لتركيا معدودا من التقاليد الحسنة التى كان يفرض علينا ان نتحمس لها كما يتحمس العبد لاختيار سيده ...

ايطاليـــا

الف المارشال دوبونو كتابا عن الحرب الايطالية فى الحبشة صرح فيه بان موسولينى كان ينوى الحرب قبل حادث والوال بعام كامل . ومن هنا يتضح نفاق ايطاليا أمام عصبة الامم سنة ١٩٣٤ وانها انما كانت تفاوض وتناقش بغية المطاولة فقط لكى تجد الوقت لارسال معداتها المهلكة للغدر بهذه الامة المسكينة

ويبدو مما تقوله الصحف الاوربية ان الدور الذي لعبته ايطاليا فى الحبشة تلعب دوراً شبيها به الآن فى اسبانيا حيث تنوى الاستيلاء على مراكز حربية قد تكون منها منفعة وفى التصادم القادم بينها وبين بريطانيا . وهو هذا التصادم الذي كررنا الاشارة اليه وقلنا أن طريق الاتومبيــلات الجديدة فى طرابلس لم ينشأ الا من أجله

اسبانيا

كان القتال شديدا فى اسبانيا طول الشهر الماضى . وقد نجح الثائرون فى جبهة بلبــاو . وقد لاتمضى أيام حتى تسقط هذه المدينة وعندئذ يستطيع فرانكو أن يوجه كل قواته نحو مــدريد . وطوالع القتال تدل على انتصارات قادمة للثائرين . ولكن الحكوميين الذين يتراجعون نحو قطالونية يجدون فى هذا الاقليم الكبير موارد صناعية كبيرة تساعدهم على المقاومة

المعنى الانساني للبسنا القبعة

بقلم الاستاذ توفيق الحكيم

ان الحجة الوحيدة القائمة ضد القبعة فى مصر هى كلمة « الشعار القومى » وأغلب المصريين مفتونون بهذه الكلمة . وأغلب المصريين ما زال يعتقد أن من المفاخر أن يتميز بلباس خاص شعب صغير لم يستكمل حضارته عن بقية شعوب الارض القوية المتحضرة . وقليل من المصريين من يرى من المساخر أن يتمسك رجل أو رجلان بلباس أحمر فاقع صارخ بين مئات والوف من الرجال المحترمين المتحدين فى زى معروف . لقد لاحظ بحق أحد المفكرين فى أثناء سياحة طويلة له فى آسيا وأفريقا . أن الشعوب المنحطة هى أكثر تمسكا بتقاليد الزى وأكثرها حبا فى التمييز عن غيرها من الامم بأردية صارخة الالوان . وأرد أنا على هذا المفكر بقولى ان فكرة التميز بشعار قومى خاص ليست فقط فكرة « بربرية » فى عصرنا الحاضر ولكنها تدل كذلك على ضعف الادراك فى أمة من الامم . فان من علامات الادراك الضعيف عدم اتساع أفقه للافكار الانسانية . ولاريب عندي الان أن خوفنا وترددنا فى مسألة

الاستاذ توفيق الحكيم

كمسألة الطربوش والقبعة وتمشدق الكثيرين بكلمة «القومية» سببه الوحيد أننا لم نزل فى حالة «عزلة ذهنية» لا أكثر ولا أقل . فنحن فى الواقع لم نتصل حتى الآن بالعالم المتحضر اتصالا يشعرنا بوجودنا ويشعرنا بأننا جزء منه . فنحن فى حقيقة الامر شعب صغير لا وجود له الآن على خريطة الفكر الانسانى المتحضر . انما نحن زراع وخدام وعبيد يعيشون على هامش الحضارة يخدمون المصالح

المالية الاجنبية التى قبضت على وادى النيل منذ عشرات من الاعوام . هذا كل دورنا الذى نلعبه حتى الآن . فنحن لم نقدم للعالم ما يدله على مساهمتنا فى التقدم الانسانى . لأن الفكرة الانسانية نفسها بعيدة عن ذهنيتنا . إنا لا نفكر الا فى انفسنا وفى حياتنا الصغيرة وما يحيط بها من عوائد بالية ومعتقدات قديمة وتقاليد عتيقة . ان العالم المتحضر لايهمه أن يعرف عنا شيئا . لانه ليس عندنا ما يستحق أن يعرفه العالم المتحضر . ولاننا لا نفكر مطلقا فى هذا العالم المتحضر . انما نحن نعيش كنعصبة من الدواجن وكفى . انى لا أقول أن لبسنا القبعة سيأتى بالا عاجيب وسيغير هذا الموقف . كلا مطلقا . انما أقول وأصر على القول أن مارأيته من انكار الناس لاقتراح لبس القبعة هذا الانكار العنيف وتكالب الناس حتى شباب الجيل الجديد مع الاسف الشديد ، على الاحتفاظ بما يسمونه « شعار قوميتهم » ، كل هذا أدهشنى وأحزننى ودلنى على أن عقليتنا فى ذاتها لم تزل تميل الى « العزلة الذهنية » وان جراثيم « البربرية » ما زالت متأصلة فى نفوسنا ، وأن أمامنا وقتا طويلا قبل أن نهضم الافكار الانسانية فى ذاتها ونصبح أهلا للانضمام الى هيئة الامم المتحضرة التى لاتتميز باختلاف الزي واللباس والتى اتجهت كلها الى وحدة الزى ايذانا بوحدة الانسانية

توفيق الحكيم

قيمتنا بين الامم

للأستاذ رمسيس شحاته

بأى مقياس نقيس حياة الأمم ونشاطها وقيمتها ؟ أو بعبارة أدق ما هو السبيل الى المفاضلة بين الأمم المختلفة والمقارنة بينها ؟ ربما يبدو لنا سؤال كهذا تافها عديم المعنى أو الاهمية ولكننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أنه يضعنا أمام مشكلة صعبة . إنه وان سهل أن نعطى الاشياء قيمتها الحقة فليس أصعب من أن نقدر الامم ونزن قيمتها بميزان دقيق ولعل . أكبر داع لذلك هو تعدد المقاييس فوق نسبيتها وتغيرها بتغير الاحوال والازمان

ومهما يكن من أمر مقاييس النشاط فى الامم وتعددها فهناك مقاييس ثلاثة تمتاز بأهميتها الكبري ونعتقد أنها تكون المقياس الشامل الصحيح لقيمة الامم

الاستاذ

رمسيس شحاته

وهذه المقاييس الثلاثة تتفق والحقيقة والواقع أشد اتفاق فوق أنها تكاد تكون مطلقة لاتخضع للظروف والأحوال. وأعنى بهذه المقاييس المقياس المادي والمقياس العقلي ثم المقياس الاخلاقي والمقياس المادي هو مقياس ثروة الامة الطبيعية من غلات ومحاصيل وهو يشمل الى ذلك

المقياس الصحى للامة وحاله أفرادها من القوة الجسمية والنشاط والقدرة على العمل. ولو تأملنا قليلا لوجدنا أن صحة الامة فى الواقع ثروة هائلة لها وهى أساس لكل ثروتها إن لم تكن بمفردها كل هذه الثروة

أما المقياس العقلى فهو مقياس التقدم الثقافى والعلمى وهو دليل النشاط العقلى والانتاج الذهنى. ورب معترض يعترض على فصل هذا المقياس عن المقياس المتقدم بحجة أن الانتاج العقلى كالانتاج الجسمى وان انتشار الثقافة والتعليم كانتشار الصحة. وعمومها بين أفراد الامم جزء من الثروة العامة. وهذا الاعتراض فى الواقع يتفق والحقيقة أشد اتفاق ولكن الداعى الذى يدعونا الى أفراد مقياس خاص للانتاج العقلى أو الصحة الذهنية ووضعه على قدم المساواة مع مقياس الثروة العامة هو أهمية الانتاج العقلى فى الوقت الحاضر. فقد أصبح العمل الذهنى أكبر قيمة وابعد أثر فى تقدم الانسانية ونجاح الشعوب وقوتها وقدرتها على الحكم والسيطرة. بحيث أصبح من الضرورى ن نفرد له مقياساً خاصا

أما المقياس الثالث وهو المقياس الاخلاقى فهو مقياس الحالة المعنوية للشعب ومقدار اتصاله بالخير على الوجه الاعم وهو فى الواقع مقياس على قدر عظيم من الخطورة والاهمية وإن بدا الآن للكثيرين من المقاييس الثانوية. وليس هذا المقياس دلالة على تأصل روح الخير والمسالمة والروح الاجتماعية فى الوجه فحسب بل هو فوق ذلك مقياس مجموع ما لها من خواص خلقية من عزة وكرامة وعزيمة وجلد وصبر وشكيمة وقوة على الكفاح والمقاومة

ونعتقد أن هذه المقاييس مجتمعة تحدد لنا قيمة الامة وقدرتها على البقاء والحكم والنمو والتقدم. ولسنا ننكر ان هناك مقاييس أخرى يمكننا أن نقيس بها قيمة الامم مفاضلين فيما بينها ولكن هذه المقاييس كما لا يخفى ذلك ليس لها أهمية هذه المقاييس الثلاثة المتقدمة. ويكفى للدلالة على ذلك أن نتأمل أنفسنا. أن قيمتنا تتبع ثروتنا المادية وصحتنا ثم انتاجنا العقلى ونشاطنا الذهنى ثم حالتنا المعنوية وسجايانا الخلقية وحالتنا بالنسبة الى هذه الصفات مجتمعة تحدد بالضبط قيمتنا العامة وتبينها على أكمل وجه

وواضح أن المقاييس المتقدمة مما يسهل تطبيقه على الافراد بل الجماعات أيضا ولكن كيف السبيل الى تطبيقها على الامم ونحن نعرف أن التفاوت بين أفرادها على أشد ما يكون ؟ ونحن نعرف أيضاً أن الاخلاق بين الاشخاص تكاد تجعل من بينهم النقائض فى كل شيء ؟

فى الواقع أن هذا الاعتراض سطحى ظاهرى لا يتناول حقيقة المسألة وبواطنها لان أفراد الامة الواحدة مهما اختلفوا ومهما تباينوا ما زالت الغالبية من بينهم محتفظة بطابع مشترك عام هو

الطابع الوطنى والطابع العقلى . والطابع الاخلاقى . ودراسة هذه الغالبية متوافرة فى كل الدول وفى كل الامم وهى فى مصر أغلبية ساحقة يمثلها الفلاحون

لعل معترضا يقول أنه من الغبن أن تقاس قيمة مصر بقيمة فلاحيها لانهم جهلاء وأمثال هذا المعترض يحسن بهم أن يتذكروا أنه من الاسراف أن تقاس قيمة مصر بقيمة بعض رجالاتها المعدودين بل نحن نظن أنه من الخير أن تربط قيمة مصر بقيمة فلاحيها . فالغالبية بين هؤلاء افضل من الغالبية بين الطبقات الاخري وإن كانت حالة الفلاحين من الجهل والضعف والتأخر مما يستدعى الشفقة ويستدر الدموع

ويتضح مما تقدم أننا نقصد بما يلى دراسة تلك الاغلبية الساحقة التى تتكون منها الامة المصرية رجاء أن نستخلص من هذه الدراسة ما قد يكون لنا من قيمة بين الامم . وسوف لا نخجل أو نتردد لحظة فى ذكر معايبنا والاشارة اليها كلما وجدنا لذلك سبيلا كما أننا سوف لا نبخل على أنفسنا بذكر ما قد يكون لنا من قيمة وما هو عزاء لنا فى تأخرنا وتقهقرنا الحالى

ولا يدفعنا الى ذلك كراهية هذه الامة أو محاولة النيل من كرامتها او الحط من قيمتها فا : نعتقد اعتقادا لا يزعزعه مزعزع ان أمتنا أمة عريقة فى المجد وان كياننا كشعب يفضل كيان أى الشعوب الاخري . فالامة المصرية أشبه ما تكون بروح جبار عبقرى قد حكم عليه أن يبق فى جسد عليل محطم . وأقرب ما تكون من رجل شريف نبيل موهوب بدا فى أثواب بالية وغطى بخرق ممزقة تأنف منها النفس

ولكننا من الناحية الاخرى لسنا ولا نود أن نكون من اولئك المتهورين الذين يدفعهم الطيش الى الصاق افضل السجايا بأنفسهم أو من اولئك الذين يدفعهم الغرور الى ادعاء الكرم والنبل والعظمة كما أننا لسنا من اولئك الذين يدفعهم التملق والمداهنة الى التغرير بالامة والدفع بها الى الهاوية

وعلى ذلك خير للمتخرصين ان ينصرفوا عن تخرصهم وسخيف ادعائاتهم . اننا لا نرمى الى غاية معينة او هدف خاص وكل ما نطمع فيه هو هداية الرأى العام وايقافه على حقيقة ما يواجهه من المشاكل والصعوبات ومقدار ضعف الامة ومبلغ تأخرها ومواطن الضعف فيها علها تنهض بها وتبادر بأصلاح عيوبها

* * *

والان دعنا أيها القارىء الكريم نتأمل حالة الفلاح المصرى المادية ولا اخالنى بحاجة الى

لفت نظرك الى الفقر المدقع والعوز الشديد الذى تقاسيه الاغلبية الساحقة من الفلاحين
لقد اظهرت الازمة الاقتصادية ذلك بشكل يثير العجب والاشفاق ولولا اننا أمة زراعية مازال في اغنيائها بقية من الكرم والشفقة لهددت المجاعات كيان الامة. أننا قد سلمنا من المجاعة ووقعنا فيما هو شر من المجاعة ونقصد بعيتوطن الامراض الخبيثة وظهورها بشكل يدعو ان الرعب والاسف خصوصا مرض السل الذى تضاعفت نسبة الوفيات به اضعافا مضاعفة عما كان قبل

اننا أمة قد عضها الفقر بنابه وأنزل بالاغلبية الساحقة منها الوانا من العذاب والاذلال وها هو يكاد يقضي القضاء الاخير ان لم نتدارك الامر. اننا أمة فقيرة معوزة ولسنا بحاجة لتدليل على ذلك فأن اعوزتك الحجة او نقصك البرهان اليقين تأمل قرانا وما هى عليه من قذارة وردائة تشمئز منها النفس. تأمل فلاحينا لكي ترى سيماء المرض على وجوههم وعلامات الحاجة والفقر بادية عليهم في اسمالهم البالية ونعالهم الممزقة

والادهى والامر إننا مشرفون على افلاس محقق هو افلاس الزراعة كلها نمارسها. اننا نسير سيرا حثيثا نحو النهاية وقد عصب الجهل عيوننا. اقتصلت الزراعة على الطرق البدائية التى نعرفها واكتسحتها الصناعة اكتساحا. ان المنتجات الصناعية وأخصها فيما يتعلق بنا الحرير الاصطناعي (الريون) تكتسح المحاصيل الزراعية اكتساحا ولو تأملنا الاحصاءات الاخيرة لهالناذلك التقهقر الذريع الذى أصاب القطن وهو عماد ثروتنا الزراعية وهل هناك أدل على ذلك من انحطاط أثمانه الذى عانينا من اجله الامرين فى هذه الايام

هذه هي ثروتنا الاقتصادية وهى كما يرى القارىء لاشىء. انها خيال آخذ في الاضمحلال والزوال

أما ثروتنا من حيث الصحة والنشاط الجسمى فلست أطمع من جمهور القراء أن يحيط بها ولكني أكلك أيها القاريء الى رجال الصحة. سلهم عن حالتنا الصحية وعن مقدار العمى بيننا. اننا أمة يصح لنا أن نسميها أمة عمياء. فنسبة العمى بيننا هى اكبر نسبة فى العالم. نحن اكثر عمى من مجاهل افريقيا وبلاد العالم المتأخرة قاطبة. وليس العمى هو داؤنا الوحيد فنحن مرضى ومرضى بأخبث الامراض. سل رجال الصحة عن مبلغ انتشار البلهارسيا والانكلستوما وسلهم عن عدد الوفيات السنوى بهذه الامراض المتوطنة لتعلم مبلغ تأخرنا من الناحية الصحية. وليست هذه الأوبئة المتوطنة هي كل ماهناك من عوامل الفناء ومعاول الهدم التى سلطت على كياننا ففي استطاعتك الان أن تضيف اليها السل والبلاجرا وهما من افتك ما عرفت الانسانية من الامراض خصوصا الاول منهما:

لا أخالك أيها القارئ الا متأكدا اننا أمة مريضة ولكني أظن أنك تعتقد أن ذلك ناتج عن

جهل فلاحينا وهذا فى الواقع يتفق والحقيقة كثيرا. الجهل ليس هو السبب الوحيد انما السبب الاهم هو الفقر . . هو الفقر الذى يضطر الفلاح الى شرب الماء العكر الملوث بالبلهارسيا والانكلستوما وهو الفقر الذي يضطره الى الاقتصار على الذرة كطعام اساسى له وبذلك يمهد الجسم للاصابة بالبلاجرا ثم هو الفقر الذى يحرمه الاغذية النافعة والذى يضطره الى العمل الشاق المضنى مهيئا بذلك من الاجسام القوية النضرة مرتعا خصبا للسل . ان للجهل يدا فى بليتنا ولكن للفقر أيدى كثيرة

نحن أمة مفلسة لان الزراعة وشيكة الافلاس ونحن أمة محققة الافلاس من الناحية الصحية لانتشار الاوبئة وتوطنها بيننا . نحن الى كل ما تقدم أمه من محرومة الثروة المعدنية معدمه فى المناجم ومصادر الثروة ان كانت موجودة لم تستغل بعد والمستغل منها فى ايدى الاجانب

هذا مقياس من مقاييس حياتنا ونشاطنا ولا شك ان القارىء قد لمس بيديه برهان فقرنا من الناحية المادية ولعله قد اشفق على الامة المصرية العريقة فى المجد والنبل أن يكون هذا حالها ولعله قد هلع وطار شغاف قلبه لذلك الخطر المقبل . وجدير بنا جميعا أن يكون هذا حالنا

أما حياتنا العقلية فالى القارىء طرف منها . ان فلاحينا أشبه ما يكونون بالحيوانات العجمى جهلا وتأخرا فهم أميون ونحن غالبا ما نسىء تقدير الامية وادراك عقلية الاميين . وربما ان كان لنا عذر فى ذلك . وفى شيوع الامية وكثرة الاميون ما يجعل ذلك يبدو لنا عاديا . ولكننا لو تأملنا الامى وقد حرم من كل ثقافة الا تلك الخرافات المضحكة الشائعة فى قرانا لوجدنا أنه فى حالة ركود وخمول وكسل ذهنى ليس له حد وهذا الركود الذهنى يجعله عاجزا عن تصريف شئونه والسير بها نحو التقدم فوق أنه مدعاة للتعصب وتصلب الرأى عن جهل وحماقة مما دفع بالفلاحين الى الهزؤ والسخرية بما يقدم لهم من نصائح . وهذا الجهل الشائع مما سهل على ذوى الضمائر الميتة من الاجانب التغرير بهم وسلب اموالهم على نشر السموم والاوبئة القاتلة بينهم

لسنا نعرف أمه تكاد تفلت ثروتها من أيدى أبنائها الى أيدى الاجانب أو تكاد تنتقل أملاكها الى أيدى الممولين منهم أو الرأسماليين ممن لايتورعون عن اغتصاب الأرباح الباهظة والفوائد الفاحشة ، كما هو الحال فى مصر . وماذلك الا لانتشار الجهل بين أفراد الأمة . لو كان المصريون على غير ما كانوا عليه من جهل لما تمكن الرباويون من الأجانب من الاستيلاء على مصادر الثروة . ولا نشأوا شركات التعاون التى لاتنتشر الآن الا بشق الأنفس . لو لم يكن الفلاحون جهلة لما سهل على موردى الكوكئين والهروئين من الأجانب تصريف بضائعهم وسمومهم . لولم يكن الفلاحون

كالحيوانات العجمى ولما أمكن أن يصبروا على الذل والضيم أو ماتم عليه من فقر وعوز مع أنهم اليد العاملة فى مصر . وربما كانت هذه هى الحسنة الوحيدة لما تم عليه من جهل وتأخر من الناحية العقلية

ولعل القارىء يظن أننا اذا كنا قد سلمنا بأننا فقراء ومرضى فذلك لأن المرض والفقر خارجان الى حد ما عن ارادتنا ولعله لايود بأن يسلم اننا جهلة كأمة ظنا منه أن المدارس والمتخرجين منها وكذلك الجامعة وأ بنائها تكفى لأن تهيىء لنا مركزا بين الامم. ومن الحق انه لا المدارس ولا الجامعة تستطيع ذلك . وهل من دليل على ذلك أكبر من حاجتنا المستمرة الى اصلاح مناهج التعليم فى مدارسنا وهل من دليل على ذلك اكثر من ذلك الجيش الهائل من العاطلين ممن يسمونهم الشباب المثقف. اننى أترك الحكم للقارىء وأغلب ظنى أنه متفق معى على أن المدارس التى انشأناها لازالت فى حاجة قصوى الى الاصلاح وانها لاتكفى لأن تدفع عنا وصمة الجهل فنحن جهلاء مادام فلاحونا جهلاء وليس ينفعنا أن يتعلم لفيف من أبنائنا تلك القشور الزائفة .

أما الجامعة فحديثها طويل . لاشك أن هذه هى المؤسسة الوحيدة التى يحق لنا أن نفخر بها وان نفخر بوجودها ولكن يجدر بنا أن لايدفعنا ذلك الى الغرور . ان الجامعة المصرية مازالت من أقل جامعات العالم انتاجا أو قل أنها أقلها مساهمة فى التقدم العلمى على الاطلاق ومازالت مهمة القائمين بها اعداد الموظفين للحكومة أما اعداد الباحثين العلميين فانه على مايظهر لم يدرج بعد فى قائمة أعمالها . والا فخبرونا ماذا انتجت الجامعة وبأى سهم اشتركت فى التقدم العلمى العام هل نستطيع أن نضعها على قدم المساواة مع جامعات العالم المعدودة ؟

نحن جهلة الى أن يتعلم فلاحونا القراءة والكتابة والى أن يقبلوا على تربية أنفسهم وتثقيفها ولو عن طريق الجرائد والمجلات. ونحن جهلة الى أن تنتج مدارسنا شبابا عاملا قادرا على الكفاح والجيالدة والمنافسة . ونحن جهلة الى أن تساهم الجامعة بسهم وافر فى تقدم العلوم والفنون فى العالم

أما المقياس الثالث وهو مقياس الاخلاق بما يتبعها من مميزات أخلاقية للأمة كالصبر والعزة القومية والقوة على الجلد والكفاح فهو عزاؤنا الوحيد فى هذا النقص الذريع الذى نعانيه فى كل من المقياسين الأولين

ان الفلاح ساذج كريم النفس وهو تقى شديد التمسك بمبادئه الاخلاقية ومثله العليا تؤيد ذلك عولاته فى التقشف والزهد والقناعة ويشهد به تمسكه الشديد بتقاليد بلاده

أما عن صبره وجلده وعزيمته وهدوئه واتزانه واخلاصه فكلنا يملك بدل الدليل أدلة عدة متنوعة . وتشاطره فى ذلك الفلاحات واذا أعوزنا الدليل على تلك المثابرة الفذة والعزيمة القوية والجلد الخارق فما أسهل من أن نجد الدليل القاطع عليها فى ذلك الفلاح الذى يعمل ليل نهار فى

سقى من جزء الأرض بالشادوف وهو يتكلف فى ذلك مشقة عظيمة كثيرا ما تبدو لنا خارقة فريدة رجاء أجر زهيد أو محصول قليل

ولو كان الفلاحون على شيء من الدهاء والمكر والخداع والتأفف والتذمر لما ظل حالهم على شيء مما هم عليه عليه الآن ولحلت اكبر الكوارث بنظامنا الاجتماعى

انه من نعم الله علينا أن تكون هذه حال فلاحينا الاخلاقية وان تكون هـذه قوائم المعنوية ولكنه جدير بنا أن نتذكر فى كل وقت أن سعة النفس البشرية محدودة وان حال الفلاح الاخلاقية والمعنوية لابد أن تتغير يوما ما ان لم نقيها شر المؤثرات المفسدة التى تتنازعهـا والتى تهدد كياننا. ليس من الحكمة أبدا أن نطمئن الى ذلك الاعتقاد السائد بطيبة فلاحينـا ومسالمتهم والا انقلب ذلك وبالا علينا

• • •

هذه قيمتنا بين الامم . نحن أمة شديدة الجهل الى الحد الذى يقضى فيه الجهل على كل المميزات العقلية للشعوب ونحن أيضا أمة فقيرة معدمة قد انشب المرض أظافره ومخالبه فينا بحيث أصبح يهدد كياننا كأمة تطمع فى المجد والتقدم وتتطلع الى العالم بعين الحسد والحسرة. ولعل القارىء يعتقد أنه رغم البقية الباقية من خلق قويم وروح معنوية لا بأس بهـا فنحن أمة مقضى عليها بالتدهور والزوال والتلاشى . وهذا هو الرأى الذى غالبا ما وصل اليه البـاحثون وتحطمت عنده آمالهم القومية وأمانيهم الوطنية ولكنا مع ذلك نعتقد اعتقاداً لا يزعزعه مزعزع ولا يتطرق اليه الشك بأننا أمة قد خلقت للمجد والرقى واننا كشعب نستطيع المعجزات وأن لنـا من المزايا ما يجعلنا فى مقدمة الشعوب قاطبه غنى وثروة وصحة وعلما وخلقا . وهل من دليل على ذلك اكبر من تلك الحضارة الفذة والمدنية الشامخة التى خلقناها من لاشيء وكنا أول من وصل اليها . ولو لم تكن أمة جبارة لقوض كياننا ذلك الذل الطويل الذى استمر قرونا عدة ولقضت علينا تلك النوازل والبلايا المتعاقبة التى حلت بنا ولو لم تكن على قدر عظيم من الحيوية والقدرة على المقاومة والكفاح لما صمدنا الى فعل تلك المعاول الهادمة التى سلطت على كياننا طوال تلك الاجيال المتعاقبة

وانه لمما يحز فى قلوبنا أن نرى الغالبية الكبرى من الامة المصرية على ذلك الفقر المدقع وذلك الخوار والضعف الصحى ولكنه عزاء لنا أن نعرف أن هذا الفقر ليس أصيلا . اذا كانت الزراعة قد أفلست واوشكت على الزوال فان العلم الحديث جدير باحيائها . ان الفدان الواحد فى المانيا ينتج عشرة اضعاف الفدان من اجود الاراضى المصرية فما هو المانع الذى يمنعنا عن ممارسه الزراعة على الطرق الحديثة و نحن اذ نقبل على ذلك وهو من السهل الميسور نؤجل الكارثة الى حين. ومن يدرى فقد يكون ذلك

ماقما من حولها الى الابد . وفوق ذلك فى استطاعتنا اصطناع الصناعة والاقبال عليها ثم احلال اليد العاملة المصرية محل اليد العاملة الاجنبية فى مختلف المرافق والنواحى . وهناك مصادر كثيرة للثروة لم تستغل بعد وفى استغلالها منقذ لنا من الافلاس المقبل

أما ثروتنا الصحية فمن السهل الميسور ضمانها واصلاحها وذلك بتحسين الحالة الصحية فى قرانا وتوفير أسباب الوقاية والعلاج للفلاحين أما الادعاء بأن الأمراض التى توطنت بيننا قد أصبحت بحيث يستحيل التغلب عليها فادعاء باطل لا يقوم على أساس فهذه الامراض عارضة وقتية لم تخلقها نحن كما أنه لم يكتب لها الخلود بل هى فى تطور وتغير دائم

ومن نعم الله علينا ذلك الجو الصافى وتلك الشمس المشرقة التى لا تغيب عن سمائنا يوما واحدا وهما يوفر ان لنا أسباب الصحة والقوة والعافية

أننا لم نفلس بعد الافلاس النهائى من الناحية المادية وفى استطاعتنا وان كنا نتقدم نحو ذلك بخطى واسعة أن نحول دون وقوع الكارثه وهذا أمر ميسور لا يحتاج منا الا التنبه والحذر ثم العمل والاصلاح

أما حياتنا العقلية الآن وحالتنا الراهنة فليست أمرا محتوم استمراره وليس لزاما علينا أن نظل على ما نحن عليه من جهل وتأخر ففى استطاعتنا أن نعلم بحيث تزول الامية زوالا نهائيا. ان فلاحينا ليسوا كالعجماوات لقصور فى عقولهم ونقص فى قواهم الذهنية وقدرتهم على الفهم انما لجهلهم المطبق ولذيوع العقائد الفاسدة بينهم . وهم اذا تعلموا كانوا أكثر الناس ذكاءا وتوقدا وانتاجا . وآية ذلك البينة هو ذلك التقدم الذى أصابته عقلية الفلاحين بمجرد الاحتكاك بوسط أكثر ثقافة وعلما . ومن حسن الحظ أن الفلاحين اضحوا يعرفون ذلك حق المعرفة فهم يدركون ان العيب فى تأخرهم ما يلاقونه من ذل وعذاب هو جهلهم ولذلك رأيناهم يقبلون على تعليم أبنائهم ليوفروا لهم بذلك مستقبلا أسعد كما أصبحوا على أشد مايكونون لهفا للعلم والمعرفة والثقافه

ان المصرى ذكى بطبعه واذا استقامت له الصحة وتوافرت له أسباب العمل والانتاج والتعلم أقبل عليها بشغف لا تلبث أن تظهر نتائجه من ثمار يانعة . لسنا جهلة متعصبين لأننا كذلك حسب تكويننا الطبيعى ولكن لعدم ثقافتنا وقلة معارفنا وأميتنا . وفى الواقع أننا نستطيع ان نعد الامية عدو الشعب الاول ولا شك ان زوالها هو فى الواقع اول واهم واكبر ما يمكن ان نحقق من نجاح وتقدم . كم نتمنى ان تزول الامية من بيننا . لا شك ان اسعد ايام حياتنا كأمة عاملة نشيطة سوف يكون ذلك اليوم الذى يستطيع قادة الرأى فينا التحدث الى سواد الشعب على

صفحات الجرائد والمجلات والكتب فيجدون اذنا صاغية وقلوبا متلهفة للعلم مشوقة للمعرفة ومن نعم الله الجزيلة علينا ان تتوافر لنا اسباب محو الأمية فى اقصر وقت فى سنين معدودة لوصح العزاء على ذلك

إن التعليم الالزامى لا يجب أن يتناول الأطفال فقط بل يجب أن يتعداهم الى الرجال أيضا . وليس يضيرنا أن نسخر المتعلمين منا فى تلقين الفلاحين مبادىء القراءة والكتابة بل لست أحسب ذلك سخرة انما هو شرف لنا وعمل يجب أن نقوم به ونحن على أشد ما نكون من الاغتباط والسرور ولست أظن الشباب الناهض متأخرا عن أداء ذلك لو وجهت اليه الدعوة وأحسن توجيه مجهوداته

اننا مهما أطلنا فى الكلام عن مضار الجهل فكل ما يمكن أن نقوله قليل ليس الا جزءا يسيرا مما للجهل والأمية من مضار وخيمة بالغة ولعل فيما تقدم اشارة الى ما يجب أن نصرف من مجهود وما يجب أن نوليها من عناية

واذا اصلح حال الفلاح من الناحية العقلية فضمن كفيل باصلاح المدارس والجامعة وابلاغها ما نتمناه من تقدم وازدهار ونجاح

وابعد ما تقدم هو أننا أمة متأخرة بين الأمم من حيث الثروات المختلفة فانها مقبلة على افلاس محقق تجرى نحوه بخطوات واسعة ويدفعنا الآخرون اليه دفعا قويا ونحن فوق ذلك أمة على أشد ما نكون من التأخر من الناحية العقلية أمة جاهلة بكل معنى الكلمة جاهلة الى الحد الذى يفسد فيه الجهل جل شئوننا بحيث يتهدد كياننا نفسه .

ولكننا الى ما تقدم أمة من عنصر قوى كريم مليء بالعزم مفعم بالقوة والارادة توافرت لها كل أسباب النجاح والتقدم وقد تهيأت لها ظروف النبوغ والظهور والازدهار وعلى قدر ما يتحقق افلاسنا وضياعنا وانحلالنا لو أننا أهملنا أمرنا على نحو ما فعلنا الى الآن يتحقق فوزنا وتقدمنا بل تفوقنا على شعوب العالم قاطبة لو أننا صممنا على العمل والنشاط والاصلاح

اننا حيارى نتساءل هل سيقدر علينا أن نظل نياما الى أن نفنى وتضيع البقية الباقية مما لنا من كرامة وقيمة بين الأمم . أم سننهض الى العمل والاصلاح مشمرين عن ساعد الجد والاجتهاد نافضين عن عقولنا تراب الجهل وعن عيوننا غشاوة الغباء والتأخر ؟

ن مستقبلنا مربوط ومتوقف على مقدار ادراكنا لا نحطاطنا الحالى ومقدار نشاطنا فى العمل والاصلاح . وجدير بنا أن نتأمل حالنا رجاء ادراك حقيقة ما وصلنا اليه من تأخر وضعف حتى نسعى فى انقاذ أنفسنا والنهوض بأمتنا وتحقيق ما نتوق اليه من رغبات وطنية وأمانى قومية

رمسيس شحاته

مصر والثقافة الاوربية

بقلم الدكتور اسماعيل احمد أدهم

من مناظـرة مع الاسـتاذ فليكس فارس

— ١ —

يجرى تيار الحياة فى نهر الزمان بما يلابسها من العوامل والمؤثرات ، وتمضى الحياة على سننها غير ملوية على شيء ، وتعلو صيحة الجماعات وصرخة الأفراد هنا وهناك ، وتبدو أشبسه بالأمواج التى تعلو مجري النهر صاخبة ، الا أنها سرعان ما تغيب فى لججها حيث يحتويها ماؤها الصاخب .ولم تكن البشرية بتاريخها الطويل إلا تيارا من تيارات الحيـاة مضى فى نهر الزمان جريا على نواميس الحياة وسننها ، حتى انك لايمكنك أن تخلص من دراستك الجماعات الانسانية التى خرجت من جذع الرئيسات ماضية فى سلسـلة من التطورات انتهت بجماعات اليوم ، بنتيجة يطمئن اليهسا العلم ويرتاح اليها العقل وتمكن اليها النفس إلا إذا استوحيت المجتمع الانسانى فى تيار الحياة قانونها وسننها

ونحن رجال العلم نتساق مدفوعين الى هذه الوجهة من النظر تحت وحي اعتقادنا بوحدة العالم وانسجامه وبساطته ، فلو لم تكن للعالم وحدته وانسجامه ، ولو لم يكن هنـا لك شيء من طبيعة الاتصال بين ذواتنا المفـكرة الشاعرة وبين طبيعة الأشياء لما كان العلم موجود وما قامت الفلسفة قائمة

بهذه الكلمات الوجيزة البليغة فى دلالتها أقدم مبحثى ، وهى شديدة الآصرة بموضوعنا الذى هو عندي نتيجة لسنين من الدراسة ، وما خرجت به خلاصة النتائج التى انتهيت اليها من دراستى للحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر والشرق العربى فى فترة من الزمن امتدت معى من أيام الدراسة حتى عهد التخصص الجامعى ولازمتنى حتى قدر لى أن أن أقوم من أجلها من وطنى تركيا توفرا على الدراسة .

— ٢ —

الشرق روحه الذى يستوحيه أبناؤه نزولا على وحي مشاعرهم ، والغرب منطقة الذى يستنير به أفراده نزولا على فطرتهم ، ولكل شعب فى العـالم تراثه التقليدى الذى خرج به من ماضيه والذي يحف به فى حاضره والذى تكمن فيه مقدمات مستقبله ـ تلك التى نطلق عليها اصطلاح «روح الامة» وهو الذى يربط ماضى جماعة من الجماعات بحاضرها ويمضى فى الزمان بها الى مستقبلها . ومصر لم تخرج عن كونها مجتمعا استوحى روح الشرق عصورا متطاولة وخرج ككل أمة بثقـافة تقليدية

كونها على مدى تاريخه الطويل ـ وان وقفت مصر الآن من سير الزمن تطل على حاضر فقدت فيه عناصرها الحيوية فى ثقافتها التقليدية ، تلك الثقافة التى كونتها بما ورثته عن أسلافها الفراعنة من أصول الفن الفرعونى القديم ومظاهر الحياة المعاشية والعادات والاخلاق والصور الاساسية التى تتشكل تبعا لها العقيدة . ويكفينا للتثبت من هذه الحقيقة أن نلقى نظرة على الملايين العديدة التى تنزل ريف مصر والتى تنتشر على ضفاف النيل من وادى حلفا حتى البحر الأبيض المتوسط فى حياتها المعاشية التى يرتكز عليها المجتمع المصرى ، وان نرجع بمصرنا الى الماضى بعدئذ مستمدين من الصور التى نقشت على الآثار والهياكل التى انبثت على جنبات وادى النيل فى مصر ، ومن الكتابات التى خطت على أوراق البردى والتى صورت حيـاة المصريين على العهد الفرعونى لنخرج بصورة تمثل وحدة الحياة المعاشية فى مصر من عصور الفراعنة الى يومنا وذلك راجع الى أن الحياة المعاشية صورة من احتياجات البيئة التى يعيش فيها الانسان ، والبيئة واحتياجاتها لاتزال على وتيرتها الاولى ولم تتغاير كثيرا ولا قليلا فى مصر ، وفى هذا يكمن سر محافظة الشعب المصرى . هذا الى جانب ذلك يقوم منطق التفكير وأسلوب الصياغة ـ اللغة ـ والدين مما اكتسبته مصر من غزاة العرب وكان ركنا من أركان الثقافة التقليدية لهذا البلد . ولقد اختلطت هاتان الثقافتان ـ الفرعونية من جانب والعربية من جانب آخر ـ فكان من ذلك ماسنعبر عنه بالثقافة التقليدية لمصر

ـ ٣ ـ

هذه الثقافة التى هى مزيج من العربية المتكيفة حسب الفرعونية والفرعونية الآخذة بأسباب العربية ، هى قرارة الذهنيـة المصرية التى عكفت عليها اكثر من عشرة قرون نتيجة لعوامل أولية اقترنت والمجتمع المصرى منذ ذلك الوقت ، ولايمكن أن تتقطع أوصال هذه الذهنية من حيث هى تنزل عند حكم البيئة التى احتضنت الثقافة التقليدية نتيجة لتلاؤمها وتجانسها ، وهى مظهر لغرائز الشعب المصرى وخصائص عصره وقد انصبت فى المحيط الذى يحيا به . اذن فكل ماهنالك من سبيل هو تلقيح الذهنية المصرية بعناصر أجنبية تبعث فيهـا النشاط وتدفعها الى آفاق تتكيف وحالات هذا العصر ، تلقيحا يقترن معه تنقيه الذهنية المصرية من آثار العقلية العربية أو قل الشرقية واذن يكون موضوع كلمتى هو : هل من الخير لمصر أن تلقح ثقافتها التقليديه بعناصر من الثقافة الغربية لتساير مجرى الحياة ، أم تمضى مصر فى أخذها عن الثقافة الشرقية ؟

وقبل كل شيء يجب أن نعرف خصائص كل من الثقافتين . والسبيل الى ذلك موقوف على تحليل كل الى عناصره الاوليه . ثم ننظر بعد ذلك هل يمكن لمصر بالعقلية الشرقية ان تساير احتيـاجات هذا العصر وان تحيا عنطقها فى هذه الحياة . فاذا لم يمكن ذلك فلنا إذن أن ننظر فى الثقافة الغربية ومقدار مافيها من المرونة لمسايرة سنن الحياة وتأخذ بجانبها الانسانى . وقبل المضى فى هذ البحث

لنا أن نتساءل بداءة ذى بدء ماذا نعنى بلفظة الثقافة الشرقية ؟

نعنى بذلك ثقافة الشرق بأسره بمعنى آسيا كلها ، إن كان ذلك ما نعنيه فستكون الثقافة الشرقية شيئا من ثقافات مصبوبه فى قوالب شتى ، فمن جانب تقوم الثقافة الهندية وهى تباين الثقافة اليابانيه فى خصائصها ، ومن جانب آخر نرى ثقافة فارسية وهى مصبوبة فى قالب غير الذى صبت فيه الثقافة العربية . إذن فنحن ازاء مجموع تباينت عناصره واختلفت وحداته وان كانت قرارته واحدة .

لقد كان الباعث الوحيد الذى أقام ثقافة الشرق ككل ثقافة أخرى اعتبارات طبيعية واجتماعية انفردت الجماعات الأولى التى نزلت الشرق أن تأخذ بها ، ولم تتقوم ثقافة الشرق ـ ككل ثقافة ـ بفعل البيئة فحسب ، ولم يحدث بفعل خصائص الجماعات الحيوية وحدها ، انما كانت أثرا تكيف لمجموعة من العوامل الكونية تكيفا تابعته مظاهر حياة هذه الجماعات من الوجهتين المعاشية والعقلية وتأثرت هذه المظاهر بما عرض لمحيطها من العوامل الاجتماعية والطبيعية ، وتباينت بتباين الظروف التى تركت أثرا ثابتا فى البيئة . وهكذا وجدت جماعات الشرق شخصية ثابتة مصبوبة فى قوالب شتى ، جماعها يكافىء الحالات المتباينة التى يتضمنها المحيط اجتماعيا وطبيعيا .

الأستاذ اسماعيل احمد أدهم

ولاشك الآن أن مفهوم الثقافة الشرقيـة قد وضح ودائرته قد تبينت وأضحى المقصود منه قالبا مخصوصا يتفق وثقافة المصريين .

ولاشك أن القالب المقصود فى هذه المناظرة هو الثقافة العربية . وثقافة العرب قريبة من ثقافة المصريين التقليدية نسبيا حيث الثقافة العربية عنصر أسـاسى فى ثقافة المصريين التقليدية .

ـ ٤ ـ

لاريب عندى كاحد العلماء فى أن خصائص كل ثقافة لايمكن تخليصها عن العوامل التى كونت طبيعة العنصر الذى يعرف الثقافة منسوبة اليه . وهذه العوامل والمؤثرات تؤثر فى العنصر وعلى تمادى الزمن تجعل له روحا ثابتة تميزها عن

غيرها من العناصر . ودراسة هذه الروح الثابتة التي تظهر في جميع مظاهر ذلك العنصر خاصة أيام بصورة معينة من الحياة الماضية ومزودة العنصر بصفات عقلية وادمية معينة ، لا غنية للباحث عنه لأن الثقافة شيء يتبع وجود الجماعة الانسانية ويتأثر بالعوامل والمؤثرات التي تتكيف تبعاً لها الجماعة الانسانية ، وينعكس على محيط الجماعة بخصائص مستمدة من غرائز العنصر وطبيعة الجماعة

فاذا نظرنا في ضوء هذه الفكرة للثقافة العربية ، فأول شيء سنلمسه في هذه الثقافة انها ذاتية وتلك تكأة الفردية ، وذلك راجع لاعتبارات طبيعية واجتماعية ، فلقد استقرت أصول الجماعات العربية في شبه جزيرة العرب في الألف السادس قبل الميلاد في حالة بدائية آخذة بالحياة البدوية . والبداوة لأهل البادية بداية الحياة الاجتماعية ، لأن فيها تتجلى روح القبيلة التي بها تحتفظ الجماعات البدوية ببقائها وتصون كيانها في الصحراء . ولقد انقسرت هذه الجماعات على التأثر بقوى عناصر الطبيعة في براري شبه جزيرة العرب وقفارها ، وذلك في المعركة التي دخلتها مع عناصر الطبيعة فخلصت من ذلك بحماسة شعورية أصبحت رسيسة في نفوس العرب ، تلك حماسة التواكل والايمان بالقضاء وبقوة عليا هي صورة من عقيدة التوحيد والتنزيه انتهت اليها تحت عوامل التهذيب . كما و ن سعيهم للقوت حملهم يخلصون لحياة اقتصادية تقوم على أساس من التنقل يعضده السيف والطعان والنزال ، حتى ان تلك الصفة الثانوية - صفة الطعان والقتال - أصبحت أولية عندهم ورسيسة في خطرتهم كمعظم شعوب البراري والصحاري . حد الى جانب ذلك حملهم على المكافأة بين تكوينهم وطباعهم وطبيعة البيئة الخارجية المحيطة بهم دفعهم الى توجيه ذاتي أحدثت كل صور أخلاقهم ، وطبع دهنيتهم بفكرة الوحدة والاطراد التي تتمثل في البيئة التي تكتنفهم ، وهذه الذهنية كانت تكأة لصور عقائدهم واحتضنت في ثنايا فطرتهم وتضاعيفها حساسية خيالية ترجع لحالات نفسية كانت مقدمة لظاهرة الوحي التي تفتحت عنها فطرة العرب وشاركهم في ذلك بقية الشعوب السامية وبالأخص اليهود . هذا الى أن مطالب الجماعة وحاجاتها في قفار شبه جزيرة العرب كانت تضطر العرب بتعديل حالاتهم حسب الظروف الطارئة ، وتلك كانت دعامة للصفات البدوية التي خرج بها الاعراب ، لحياتهم البدوية واحتياجاتهم الماضية التي كانت تدفعهم للتعاون والتعاضد في نطاق ضيق ، هو نطاق الجماعة كما عرفه العرب - وهو القبيلة - وتأثر أخيلتهم بفكرة الوحدة والاطراد اضطرتهم لافناء في شخص واحد والاستسلام له ، هذا هو الرئيس الروحي للجماعة أو القبيلة ، وتلك كانت تكأة للحكم المطلق عندهم في حالاتهم الاجتماعية والمدنية لما اتصلوا بالفراعنة في وادي النيل واحتكوا بالسومريين والاكديين فيما بين النهرين في الألف الثاني قبل الميلاد .

هذه الفطرة العرب وهذه الخصائص لهم هي الطبيعة والغريزة تكيفت تبعاً له وللحالات العارضة

والظروف الطارئة التي تركت أثراً ثابتاً في بيئتهم الثقافة العربية . وهي ثقافة لا تتفق ومطاليب هذه الحياة الدنيا ، حيث تنزع بما انبثت في تضاعيفها من وراثة الى عالم الغيب فتخرج بصور من الغيبيات تقيم عليها حياتها العقلية والمعاشية ، ولا رابط يربطها بهذه الحياة .

— ٥ —

بهذه الذهنية خرج العرب للحياة من فلوات شبه جزيرة العرب بعد أن دانوا لسلطان الاسلام الدنيوي ، والأخروي ، والذي هو صورة سامية من غرائزهم وفطرتهم تكيفت حسب العوامل التي انصبت في بيئتهم . ولم يستطع العرب منذ ظهر الاسلام حتى أواخر القرن الثاني أن يخلصوا من تأثير الدين الاسلامي لحظة من لحظات حياتهم ، فخضعوا لروحه المدنية والدينية . وكان الاسلام يقرر توحيد العرب — وسيرة الرسول أوضح مثال لهذه الحقيقة — غير أن توحيد العرب في وحدة اجتماعية كانت ضربة لخصائص العنصر العربي وكبتاً لطبيعته التي لا تعرف غير التفرق والوحدة — سلطانا على نفسه ، وغير القتال والطعان والسلب والنهب طبيعة له (انظر لصاحب هذا المقال الرسالة الأولى من مصادر التاريخ الاسلامي . الاسكندرية ٩٣٦ ص ٣٣ — ٣٤) .

أتى الاسلام وأقام وحدة الدولة مقام وحدة القبيلة ووجد العرب أنفسهم غير قادرين على غزو بعضهم البعض وهم في أحضان هذه العقيدة الجديدة ، وحصوصاً وقد اجتهد الرسول أن يقيد حرية الغزو بينهم . ولما كان الغزو عند العرب هو الوسيلة الوحيدة لتوزيع الثروة ، ولما كان العرب من طبيعتهم يميلون الى الغزو وما يتبعه من الأمجاد والأسلاب الحربية ، ويودون لو يديروا منصرفا لقوتهم ، لذلك اجبروا على أن يغزوا البلاد المجاورة على الحدود السورية . ورأى محمد بثاقب نظره أن يصرف هذه القوى في زيادة شوكة دينه الجديد ، واخضاع جنوب بطاح سوريا للاسلام ، والا لحطم هذا الشعب — العرب — كل ما بناه الرسول وشيده ولرجع لحياته البدوية الأولى .

وهكذا قدر للعرب تحت ظروف خارجة عن طبيعتهم وجدت الطريق لبيئتهم أن يضطروا للخروج موجات صاخبة من قلب شبه جزيرة العرب على مدائن كسرى وقيصر في الشرق الأدنى وانهمك العرب بالفتوح وانشغلوا بجمع المال وتمصير البلدان ، غير أن خروجهم من فلوات شبه جزيرة العرب أيقظت في الشعوب التي دانت لسلطانهم ، ومن الفرس والروم على وجه خاص حيويتها الكامنة اذ نفضت عن نفسها غبار الجمود وأخذت طريقها لساحة المدنية لتقوم بعملها في اقامة صرح الحضارة التي عرفت تجاوزاً باسم الحضارة والمدنية العربية وهي في الواقع اسلامية ، ذلك لأن الشعوب التي أسلمت ودانت لسلطان الاسلام الديني من الاعاجم هم الذين قامت على أكتافهم صرح المدنية الاسلامية ، ذلك لأنهم أقدر على التفكير من العرب وأعرق في الثقافة والحضارة ، وهم

الظروف المواتية لتأسيس الحضارات ، والمراد بالظروف هنا حالة البلاد الاقتصادية والأدبية ومزايا العنصر وغرائزه وملكاته وما أوتى من نشاط ومقدرة على الابداع ، وتأثير مناخه وموارده الطبيعية والاقتصادية واختباراته التقليدية وخبرته المكتسبة وذوقه الفنى ونظامه السياسى والاقتصادى وصفات المجتمع الى آخر ماهنا لك مما لاينبغى اغفاله كعوامل تتقوم بها الحضارات .

— ٦ —

خرج العرب من فلوات شبه الجزيرة وولدوا فى عالم الشرق الأدنى النشاط ، ولم يتعد دورهم هذا فى تاريخ القرون الوسطى من الوجهة الابداعية ، فلقد كان العالم الشرقى يغلى فى ذلك الحين بمختلف العوامل ،فلقد انبثت النساطرة فى عالم الشرق الأدنى يبشرون بمعتقداتهم داعين للمسيحية مصبوبة فى قالب شرقى بحت مستعينين على آرائهم بما انتزعوه من الفلسفة اليونانية من أفكار ، وهكذا قدر للشرق الأدنى Near East أن يعرف فلسفة اليونان عن طريق النساطرة مشوبة باللاهوت الدينى ، وكانت تلك الحركة النواة التى قامت عليها الفلسفة اليونانية خارج حدود الامبراطورية البيزنطية فى آسيا . وفى مدينة الاسكندرية على شاطىء البحر الأبيض المتوسط قامت مدارس على انقاض المدرسة القديمة التى اشتهرت فى تاريخ الفلسفة القديمة باسم مدرسة الاسكندرية غيران الصلة لم تكن قد انقصمت بين تعاليم المدرسة القديمة والمدارس الحديثة ، لهذا تأثر فلاسفة الاسكندرية المتأخرون بتعاليم اسلافهم الذين عرفوا باسم الافلوطونيين — نسبة لافلوطين الفيلسوف السكندري المعروف — غير انهم بجانب تأثرهم بمدرسة الاسكندرية القديمة أخذوا عن اليونان ومفكريهم وأعلامهم الشيء الكثير، فكانت مدارس الاسكندرية منبعا لكثير من الأبحاث العلمية فى الطب والفيزيقا والكيمياء ، والفلسفة فى المنطق والميتا فيزيقا .

بيد أن هذه الحركة الزخة فى الاسكندرية بضروب شتى من البحث وأساليبه كانت تنزع عما انبث فى تضاعيف المحيط من نزعة الرجوع الى عالم الغيب نتيجة لاستفواء عجلة التفكير الشرقى لهذا فسد جو مدرسة الاسكندرية . فلما خرج العرب واحتكوا بمدرستها فى مصر وبمدارس النساطرة فى الجزيرة وشمالى سوريا ورثوا النزعة التى تدفع العقل للغيبيات ، ولقد ساعد على هذه الوراثة طبيعة العرب وفطرتهم التى ترجع لعالم الغيب دون عالم الشهادة ، وحمل العرب هذه النزعة وأورثوها الشعوب التى دانت لسلطانهم ، لهذا قامت المدنية الاسلامية حاملة فى طيات ثقافتها صورا من التفكير الغيبى والنزعات التى ترجع العالم الغيب ، على اعتقاد بامكان ادراكه عن طريق الطلاسم والتنجيم .

ولنا أن نصل من هذا كله مسرعين لغرضنا فالعرب ما انتهوا من فتوحاتهم حتى كان تأثير

الاسلام قد ذهب ، وهذه مسئلة لها مقوماتها فى البيولوجيا الحديثة التى تبين أن خضوع الفرد للعوامل الداخلية أبعد غورا فى تكوينه وتأثره من انفعاله بالوسط الذي يحيا فيه ، أو العوامل التى تعرض له فى بيئته الخارجية ، فما تأثير العوامل الخارجية الاكتأثير الاستئناس فى أزراع الأنواع الوحشية ، فانها مهما ارتقت تحت تأثير الايلاف Domestication فسرعان ماترجع لصفات أصولها الأولى اذا تركت للطبيعة غير محمية بعنايه الانسان ، ولا شك أن تأثر العرب بالروح الذى فرضه الاسلام عليهم لم يتعد تأثر الأنواع الوحشية من نبات بأصول الاستئناس ، فلما ضعفت قوة التأثير وانتهوا بفتوحاتهم عنـد الحد الذي عنده تنتهي حيويتهم حتى توجهت فطرتهم الأولى الى سيرها الطبيعى وافلتوا من الحالة التى فرضها الاسلام الى ماتوحيه غرائزهم وطبائعهم وانقلبوا يتنازعون ويعيشون حياة الجاهلية متكيفين بالحالات الجديدة التى دلفوا اليها . وهكذا يصبح عنـدنا حقيقة لايتسرب اليها عوامل الشك فى أن الاسلام لم يقو على القضـاء على عصبية العرب حيث احتفظت قبائل العرب بها خارج شبه الجزيرة العربية بل وهذه العصبية تشكلت تبعا لـكثير من الظروف التى لابست العرب فى تاريخهم .

اذا صح هذا كله ولا اخاله إلا صحيحا وقفنا على مسئلة هامة يمحوها النقـد الحديث بنتائجه ويدعمها بأسسه ، وهى أن العرب لم يغير الاسلام منهم غير الظاهر .

— ٧ —

هذه المقدمات المستفيضة بليغة فى دلالتها على حقيقة الطبيعة العربية وقرارة الذهنيـة والثقافة العربية . ولهذا لم ينجب العرب على مدى تاريخهم الطويل عالما واحدا أو فيلسوفا . وفى هذا تكمن الأسباب التى جعلت الذهنية العربية بعيدة عن منطق العلم والفلسفة ، وأقول منطق العلم والفلسفة لأن العرب عرفوا صورا من العلم والفلسفة ولـكن لم تكن نتيجة لقريحة عـلمية أو فلسفية . واذا عرفنا هذه المقدمات ومقوماتها العلمية أمكننا أن نعرف السر فى أن آداب العرب كانت خـلوا من الروح الفنية التى تلقى نورا شعريا على دائرة غنية من الفكر . ويمكننا أن نلخص كل آثار العربى فى أنها عبارة عن هتاف عميق من نفسه نحو الوحدة المتجلية حوله ، والشعر والموسيقى العربية أوضح مثال لهذه الحقيقة . والى هذه الأسباب ترد الأسباب التى قعدت بالآداب العربية عن التصوير لأن التصوير يستلزم التجرد عن الذاتية والعرض للظواهر الموضوعية فى طبيعتها الموضوعية ، و أين هذا من طبيعة العقل العربى القائمة على الذاتية .

— ٨ —

لنا أن نتساءل بعد هذا هل يمثل هذه الذهنية يمكن لمصران تحيا ، وهل تصلح أن تـكون

موضوعا لتلقيح الثقافة المصرية التقليدية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تدفعنا النظر لقراءة الذهنية الغربية أولا … ، وأول ما يمكنك أن تلمسه في ذهنية الغرب أنها موضوعية وتلك قراءة الذهنية الغربية ، وهي تكأة الحالات الضمانية والتعاونية وهي تعود لاعتبارات طبيعية واجتماعية خلص منها الغرب بثقافته .

لقد أخذت الموجات الانسانية تعلو من سهوب اسيا الوسطى بجموع الاريين وترمي موجات صاخبة على براري أوربا ، ثم لاتلبث الموجة كثيرا حتى تنحسر لتتلوها الاخرى . تلك وقائع حدثت في فترة امتدت على الزمن اكثر من ثلاثين قرن ، من الألف الثاني قبل الميلاد الى الالف الأول بعده .

في هذه الفترة تمكن الغربي أن يخلص بعقلية جديدة وبذهنية انسانية ، كانت الظروف والبيئة بجانب حيوية العنصر الآري يد كبرى في تكوينها ، فلقد امتدت الموجة الارية الأولى في التاريخ - على ماوصل اليه علمنا - على أوربا حول الى ١٨٥٠ ق وانتهت هذه الموجة بقيام شعب أغريقية القديمة بمدنيته التي أثارت تلك الانسانية وبددت سحب الذهنية الأسيوية الغيبية التي ألقت على العقل الانساني ظلالا كثيفة .

أتت أصول الاغريق الى ارض هيلاس - في أربعة مجاميع - الأيوليون والدوريون والأخيون والأيونيون . ونزل الأيوليون والدوريون في الشمال والأخيون والأيونيون في المورة - البلوبونيز - ولكن حدث في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ان أغار أهل تساليا على شمالي اليونان فهاجر الأيوليون الى آسيا الصغرى واحتلوا لسبوس - اكبر جزر الشاطىء الأسيوي - واحتلوا شطئان أسيا الصغرى من الدردنيل - هلسبونتس - الى خليج سيروس وعرفت هذه المنطقة باسم أيوليا .
أما الدوريون فهبطوا البيلوبونيز واخضعوا الأخيين ، وهددوا الأيونيين فاضطر بعضهم للصعود الى - أتيكا - في شمال البيلوبونيز من جهة الشرق ، وبعضهم نزل أسيا الصغرى من سيروس الى نهر مينديروس واحتل جزيرتي خيوس - روساموس - وعرفت هذه المنطقة باسم ايونية

في هذه المناطق من الأرض في شمال شرقي البحر الأبيض المتوسط قامت الحضارة الهيليفية وفيها انتظمت الحياة الانسانية لأول مرة في تاريخ الانسانية على أساس انساني ، وكانت هذه المناطق مهدا لصفاء الذهن حيث البيئة صافية فخرج العلم والفلسفة منها صافيين . ولم تكن الثقافة اليونانية وحياة الهيليفيين المماشية خالصة من آثار التلقيح من ثقافات الشرق وحضاراتها ، غير أن هذا التأثر تافه قليل ، هذا الى أنه عرضي لاحق للظواهر ، حتى أن نفرا من أعلام الباحثين في العصور الاخيرة أمثال العلامة « ريتر » الالماني والفيلسوف « رينان » الفرنسي والعلامة «زيلر» مؤرخ فلسفة الالماني المشهور ذهبوا الى الاستقلال الثقافة اليونانية عن غيرها من الثقافات ، وليس لنا أن نذهب بعيدا مع هؤلاء أو مع القائلين بتأثر الثقافة اليونانية عن غيرها من الثقافات ، فما لا شك

فيه أن فى ساحة العقليات لم يتأثر شعب هيلاس بمن قبلهم فهم بحق أول رواد الفكر الانسانى ، أما فى ساحة الحياة المعاشية فقد كان التأثر تافها . وكان لهذا الاستقلال النسبى أثره فى أن تقوم الثقافة والحضارة اليونانية صافية من آثار الشرق التى يمكن أن تؤثر على صفاء العقلية .

— ٩ —

نشأ اليونان فى بيئة متقلبة ليس لها اطراد فى الخارج وخلصوا بحكم هذه البيئة بعقلية تمتاز الى جانب توثب خيالها بحدة تصورها ، وخرجوا بكفاءة ذهنية استقرت على المنطق والاستدلال فأصبحت رسيسة فى فطرتهم والنزعة المنقبة والنهج العقلى والتحليلى . ولقد كان لمجهودهم فى سبيل السعى للقوت أثره فى تركيز حياتهم الاقتصادية على أساس من التعاون والتعاضد استلزمته بيئتهم وطبيعة بلادهم خذ الى جانب ذلك عملهم على التكافؤ بين تكوينهم وطبائعهم والبيئة الخارجية جعلهم يخلصون بتوجيه ذاتى Tropism صبغ ذاتهم بأخلاق مثالية ونزعات انسانية فى النطاق الهيلينى وطبع ذهنيتهم بالعمق وخيالهم بالزخامة Dynamic ومطالب الحياة الاجتماعية دفعتهم للتعاون والتعاضد فى نطاق المجتمع الهيلينى وكانت الوطنية الاغريقية التى أثبتت حلالتها وارتكازها على الفطرة فى الحروب التى قامت بين الفرس وشعب اغريقية والتى انقذت الغرب والانسانية من العقلية الاسيوية التى لو قدر لها التحكم فى ربوع بلاد الهيلينيين لتغير مجرى التاريخ ولكنا الآن فى عصور البربرية الاسيوية ولما قامت مدنية روما ولا حضارة المسلمين ولا أثر من جيلنا الحاضر .

ولقد أعقبت الحضارة الاغريقية حضارة رومانية بربرية ، غير أنها ورثت تراث الهيلينيين الثقافى والمدنى ، وحضارة اليونان ومدنيتهم أرقى ما وصل اليه الانسان من جهة عقلية من حيث الرقى والذكاء والقدرة على التحليل فى التاريخ ، ذلك انها وان كانت بدائية الا أن طابعها انسانى عقلى ، فلقد نجح اليونان فى تخليص العقل من آثار الميثولوجيا وتحريره من ربقة العقائد ، ونظروا الى العالم بذهن خالص حر لم تفسده عقيدة ولا تقليد فنجحوا بما انبث فى فطرتهم من كفاءة القياس والاستدلال أن يخلصوا باقامة الحياة الانسانية على ما تقتضى الحياة من حاجات ووضعوا عن طريق المنطق الانسانى نظاما للحقوق البشرية يوافق الحياة ومطالبها ، فعرفوا للمرأة مقامها فى المجتمع وللفرد حقوقه فى نطاق الجماعة . وجملة القول كانت العقلية اليونانية عقلية انسانية صرفت كل همها لصالح الانسان ، لم ينزل بمقرراتها وحى ولم تهبط من السماء ، انما كانت وفق مطالب الحياة وفهم طبيعة الانسان .

— ١٠ —

قامت المدنية الرومانية على ميراث الاغريق ، غير أن المسيحيه سرعان ماغزت روما وهبت عليها عاصفة

معها نزعات المنطق الآسيوى والروح الشرقية ،الا أن الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وامتصتها ومثلتها حسب الطبيعة الغربية . وكان ذلك خلافاً للمنطق الغربى ، ولو لم تكن ديانة المسيحية روحية محضة قابلة لكثير من التفاسير مرنة بطبيعتها غير سامة فى طياتها نظاماً للحياة الاجتماعيه ونظما وشرائع كما هو الحال فى الاسلام لقام نضال عنيف بين منطق الغرب العقلى الانسانى واصوله مجتمعة وبين منطق الشرق الغيبى وروح السلك السامية وشرائع الشرقيين . ومن يدري فلربما كان مصير أوربا أن تصبح فى الحالة التى نلمسها فى مسلمى البلقان وشرق أوربا . يقول الاستاذ هابل أدم بك أحد كبار علماء الاجتماع فى تركيا ماترجمته .

«ان مسلمى بوسنة (مقاطعة من يوغو سولافيا الآن) ومسيحييها خير مثال يمكن أن نقدمه لنؤيد به فكرتنا فى أن الشرق كاد يلتهم الغرب بمنطقه وروحه. فمسلمو البوسنة قد انتحلوا حياة العرب الاجتماعية فى قلب أوربا ، فالذى كان ينجى الغرب فى مثل هذا لو قدر للمنطق الآسيوى أن يتحكم فيها ؟ » . انتهى ملخصاً من كتابه مصطفى كمال كتابى . استامبول ١٩٣٦ جهان كتبخانه سى).

لقد كانت روحانية المسيحية سبباً فى نجاة الغرب ، وتلك مسألة خارجة عن نطاق بحثنا الا أنها بليغة فى الدلالة على المنطق الشرقى وآثاره والهوة السحيقة بين روح الشرق ومنطق الغرب .

نضب معين حيوية روما لعوامل داخلية وهاجم الهمج من الجرمان والصقلب أو السلاف والهون ، وسقطت امبراطورية الرومان الشرقية . على مقربة من الشرق فتأثرت بروح النسك الآسيوية ونزعات المنطق الغيبى الشرقى . ودانت الامبراطورية بدين المسيح وتمكنت المسيحية من الاستقرار فيها حاملة معها الكثير من أساليب المنطق الغيبى ، وقام صراع بين منطق الشرق والغرب حتى ناصر أحد الأباطرة المنطق الشرقى بتحريمه تدريس الفلسفة واغلاقه لمدارسها ـ وكانت الفلسفة إلى ذلك الوقت هيلينية صرفة ـ لتقوم عوضاً عنها منطق الشرق الغيبى ممثلا فى اللاهوت المسيحى وغيبيات النصرانية .

فى ذلك الوقت كانت بلدان الشرق فى سبات عميق تقتلها المجادلات اللاهوتية فى حقيقة الثالوث ومرى المسيح والمناقشات من حول ناسوت ولاهوت السيد المسيح . ولما أغلقت مدارس الفلسفة فى انحاء الامبراطورية الرومانية لم يجد الفلاسفة سبيلا غير المهاجرة فنزلوا شمالى العراق وهبطوا فارس وكانوا النواة الاولى التى تمخضت عن حركة الترجمة والنقل عن اليونانية للسريانية ثم العربية وكانت حركتهم البذرة التى تمخضت عن مدنية القرون الوسطى فى الشرق .

أما أوربا نفسها فقد كانت رازحة تحت ظلام حالك نتيجة لهبوط الهمج أوربا ـ غير ان هؤلاء ما أخذوا باسباب التحضر والتمدن حتى كان صفاء ذهنيتهم يرسل أشعة مضيئة تنفذ من أغوار عقلية القرون الوسطى المظلمة ، وهذه الثمرات التى أرسلت منها العقلية الأثرية الجديدة اشعتها

تألقت وقتا بشخص روجر بيكون أول من وضع الأسلوب التجريبي في البحث وأخذ به في ظلمات القرون الوسطى . ومن الواضح للباحثين في تاريخ القرون الوسطى على ضوء البحوث الأخيرة التي قام بها الأستاذان «دل» و «بيرن» في انجلترا والأستاذ «بيرنين» البلجيكي أن نزول الهمج في أوربا واسقاطهم للدولة الرومانية الغربية لم يغير الكثير من الحياة المعاشية في أوربا فهناك رابطة بين الرومان وبين هؤلاء الهمج من حيث النظم الاجتماعية والاقتصادية . فلقد كانت نتائج بحوث الباحثين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرون الوسطى اكتشاف حقائق مهمة في أن أوربا في القرون الوسطى احتفظت بكثير من الشعوب التي عاشت في كنف القيصرية الرومانية ونظمها الادارية وعاداتها ، وان الهمج لم يحدثوا من أثر تعدى قضاءهم على التجارة الواسعة النطاق وعلى الادارة العامة ، وقامت بدل ذلك بيوتات تجارية صغيرة تستطيع كفاية أهلها بحاجاتها ، فكانت بذلك مقدمة للعهد الاقطاعي . وهكذا قدر لهؤلاء الهمج ان يركزوا الحياة الاقتصادية في المعمل الصغير وبذلك وضعوا النواة لعهد الانتاج الصناعي .

— ١١ —

امتدت موجة العرب عن طريق الاندلس على الغرب ، غير أن الغربيين كانوا قد استيقظوا من سباتهم وأخذت الشعوب الهمجية التي نزلت أوربا تتحضر وتتمدن فوقفوا في وجه العرب وأوقفوا مد الموجة العربية عندما تفاقم أمرها واجتازت سفوح البرينيه وأخذت تمتد حتى ضفاف نهر اللوار . وكان نجاح شارل مارتل البطل الكبير في إيقاف حملة العرب وصده لهم سببا في أن تأخذ الموجة العربية في الانحسار ولم يمض قرنان أو اكثر حتى انحسرت الموجة العربية عن اسبانيا كلها واستقرت في المغرب .

وكان نزول العرب الاندلس وإقامة دويلات لهم في اسبانيا سببا في أن تزهر حركة أدبية فلسفية نظرا لوجود العقل الغربي وراء العرب وذهنيتهم الشرقية ، فقام أمثال ابن الطفيل وابن رشد وغيرهما من أعلام المغرب والاندلس ، غير أن الجو الشرقي الذي خلقه العرب بكيانهم الاجتماعي قضى على الآثار التي كان يمكن أن تنتج عن تعاليم فيلسوف مثل ابن رشد يجرى في عروقه الدم الاسباني . وفي ذلك الوقت كانت العقلية الغربية رازحة تحت كاهل اللاهوت الكنسي الذي قام في روما باقامة كرسي البابوية التي جعلت نفسها رقيبة على النفوس والعقول ، غير ان الوقت كان قد تقدم والعقلية الجرمانية لم تكن ترى في تسلط البابا وروما ، روما ظلا شرقيا بعيدة عن الفطرة الاوربية فعملت على تقطيع أوصال البابوية والكنيسة الرومانية عندها : وكان الصراع شديدا بين البابا ممثلا روح الشرق ومنطقه الغيبي وبين دعاة الاصلاح الديني من الألمان الذين يمثلون منطق الغرب . وفي هذا الوقت ، الذي كان فترة صراع قوى شق لوثر طريقه للوجود وداعيا للاصلاح الديني فكانت دعوته

مقدمة لمهدين عهد الاصلاح الديني وعصر الاحياء الفكري

— ١٢ —

تحررت العقول من تحكم العقلية البابا وية وانطلقت عجلات الفكر الغربي تعمل من جديد مستوحيه فطرتها وأحيلتها في طبيعتها ، فنظرت للماضي فلم تجد غير تراث الهيلينين ، ولكن هنالك المسلمين وقد عملوا الثقافة الاغريقية وتركوا تراثا عظيما في العلوم والفلسفة ، فاذن لا بد من دراسة التراثين الاغريقي والاسلامي . ولقد أوضح البحث لهم أن صفاء العقلية الأغريقية لم يعرفها العرب ولا المسلمون حيث اخذوا ثقافة لاغريق عن طريق الساطرة ومدرسة الاسكندرية مشوبة باللاهوت المسيحي وبغيبيات النسطورية . أما تراث المدنية الاسلامية فحقا ان المسلمين أضافوا الشيء الكثير على تراث اليونان في الطب والفلك والرياضيات والفيزيقا والفلسفة لكنها لم تكن نتيجة لذهنية خالصة علمية أو فلسفية الا في القليل بل كانت الظروف يد كبرى في ايجادها . وما كشف الغربيون هذه الحقيقة حتى أخذوا في الرجوع إلى التراث الهيليني نفسه ، وكانوا قد مضوا في الترجمة عن العرب ، وبدأ عصر الاحياء والنهضة بالترجمة والنقل عن الاغارقة ونشرت مؤلفاتهم التراجم اللاتينية . وكان للطباعة يد طولى في قيام الذهنية الغربية الحديثة في فترة قصيرة لم تتجاوز الأربعة القرون على تراث الهيليين الذي مكنت المنطق الاغريقي بين ظهراني ابناء الغرب .

واقترنت هذه الحركة بأن شك نفر من رجالات القرن السادس عشر في صلاح الطريقة الغيبيه التي ورثوها عن الشرق واخذوا يحاولون ان يطبعوا العالم بعدة سنن تنظم من حدوث حوادثها - تلك هي سنن الطبيعة - واستنادا على هذا المنهج الاستقرائي والتجريبي نجح الغرب في اقامه عقلية علمية .

فالثقافة الغربيـة تقوم على أساس من فطرتها تستمدها من عنصريتها الآرية وطبيعتها وبيئتها كونتها على مدى الدهور والاعوام في أجيال لا تعيها الذكريات .

— ١٣ —

ان كيان كل جماعة ، تتأثر بفواعل عديدة يتفاعل مع بعضها البعض فتكون محيط الحياة الانسانية . وهذه الفواعل تظهر في أقوى مظاهرها من طريق « مركز الجذب الاجتماعي » - وهو الميل العام في المجتمع نحو شيء بعينه - ، ومركز الجذب الاجتماعي في عصرنا هذا هو ثقافة الغرب ومنطقه ولا يتنازع اثنان على هذه الحقيقة ، يثبت من هذه الحقيقة ان كل الشعوب الشرقية أما اخذت أو آخذة بمنطق الغرب منجذبة لما يحكم محيط الحياة الانسانية . لقد ساعدت على قوة « مركز الجذب الاجتماعي » في هذا العصر المدنية الصناعية التي ربطت مقدرات الشعوب ببعض وشبكتها بمجموعة من الصلات لا يروى لها التاريخ الانساني مثلا .

ومصر كمجتمع انساني مضطرة بطبيعة تكوينها وكيانها أن تنجذب نحو « الغرب وثقافته » وتتأثر بها شاءت أو لم تشأ فان لقوة الجذب الاجتماعي طاقة على جذب مصر للثقافة الغربية . فاذا عرفنا هذه الحقيقة فانه يكون السؤال الذي يتكيف مع هذه المقدمات : هل من الخير لمصر أن تعمل على تقوية ميلها نحو « مركز الجذب العام » في عصرنا وهو « ثقافة الغرب » ؟ وإذا كان ذلك خيرا لمصر فهل من الخير لها أن تعمل على تقطيع أوصال « الثقافة العربيه » بين ظهر انيها ؟ وان كان هذا خيرا لها فهل تنتحل « ثقافة الغرب » انتحالا أم ترجع لفطرتها وطبيعتها لتكيفها حسب احتياجات هذا الجيل ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة واضحة السبيل ولا تحتاج لجهد كبير ، فيكفي ان تقوم الحياة في العالم على أساس غربي لتأخذ مصر بها ، هذا الى أن منطق الغرب جرب واختبر فأسفر اختباره عن نجاحة . ففي طريقه اعترف لأمريكا بحق الحياة ، وتحضرت اليابان بان اتبعت وسائل واسباب العقلية الغربية ، وكذلك ممالك البلقان ، فانها في الماضي لما كانت تنزل عند حكم آل عثمان ، مرتبطة مقاديرها بمقادير العثمانيين كانت في انحطاط حيث كانت الأستانة تحذيهم للحياة والمنطق الشرقي ، فلما انفصلوا وأخذوا بمنطق الغرب تحضروا وهذه تركيا اعترف لها بحق الحياة منذ أخذت بمنطق الغرب . ورب معترض يقول لا يكفي أن تقوم الحياة على اساس غربي حتى تأخذ بها في هذا العصر ، انما يجب ان نأخذ بالصالح . ولربما كان هذا في الشرق ومنطقه ! والاجابة على هذا جلية في أن الصالح ما ساير سنن الحياة ونزل عند تيارها ومنطق الحياة الغربي انساني ينزل عند سنن الحياة حيث هي تقوم على ماتقتضي الحياة من حاجات وما تعترض من نظم للمجتمع توافق الحياة ومطالبها فالعقلية الغربية عقلية انسانية همها صالح الانسان عن معرفة السنن التي تتحكم في كيانه والعمل للتكافؤ بين المقدر للانسان وبين ما ينفعه وما هو في صالحه بينما العقلية الشرقية عقلية لاهوتية منصرفة للغيب مؤمنة بالقضاء والقدر فأين هذه الذهنية من عقلية الغرب الارتقائية .

والاجابة على الشق الثاني من السؤال يرتبط بالسؤال الاخير ارتباطاً وثيقا لأنه لايمكن ان يقوم مجتمع ناهض له كيانه واستقلاله إذا لم يستوح فطرته وطبيعة ، فاذا صح هذا فالسؤال يتبين ودائرته تضيق والمقصود يتضح في هل «الثقافة العربية» تتفق مع الفطرة والطبيعة المصرية ؟

ان الاجابة واضحة في أن المصريين عنصر غير سامي ـ عنصر يتفق ود لية الدموي مع شعوب البحر الأبيض المتوسط ، فلقد اتضح من مباحث الدكتور محمد شرف وغيره ان المصريين لهم وحدة دموية واحدة هي ١٠٧ وان صلتهم الدموية بالعرب بعيدة وان الفتح العربي

لم يؤثر على دماء المصريين ، وهذا ان اثبت شيئاً فذلك ان المصريين عنصر مستقل عن العرب له أخيلته وثقافته ومناطه المستقل عن أخيلة وثقافة ومنطق العرب وهذه المقدمة تؤدى الى نتيجة منطقية لا مرد منها وهى العمل على التخلص من العقلية العربية ان كان لها ظل فى مصر . ولا شك فى أن ظل الثقافة العربية فى مصر غير يسير فاللغة والعقيدة قد تكيفت على غرار عربى ومتى عملت مصر على تقطيع أوصال العقلية العربية بثورة كبيرة تتصل بمشاعر المصريين قبل عقولهم حتى تتمزق أوصال العقلية العربية كان للمصريين كيان مستقل تكيفه حسب احتياجات الجيل وتلقحه بآثار المنطق الغربى فتدلف الى الحياة الصحيحة على أساس من المنطق الانسانى الذى عرفه الغرب .

لقد وضح السبيل والحياة فى له منطقه الصرف فان كانت مصر تريد أن تحيا فالطريقة بينه ممهدة السبيل . ولينظر أبناء مصر لفطرتهم وليرجعوا لطبيعتهم — وهى فرعونية — وليدرسوا السنن التى تتحكم فى وجودهم وفى كيان المجتمع المصري وليعملوا على تغيير المقدر بما يتفق وصالح مصر وفائدة كيانها ، فالعلم والثقافة الغربية يجهز ان ابناء مصر بمحراث قوى يشق لهم سبل الحياة .

اعملوا يا أبناء مصر على التحرر من الكابوس العربى واعملوا للرجوع لطبيعتكم الفرعونية ولقحوا ثقافتكم التقليدية بأسباب الذهنية الغربية ، فتتغاير تلك الى صورة تتفق والعصر الجديد الذى دلف اليه العالم المتمدن .

— ١٥ —

ان الذهنية الغربية قرارة واحدة وان تكيفت حسب أحوال كل عنصر وطبيعة فهى تأخذ شكلا فى المانيا غير الذى تأخذه فى فرنسا وتصب فى قالب فى روسيا غير الذى تصب فيه فى انجلترا ولكن الغرب شخصية ثابتة كما للشرق شخصية ثابتة وكل جماعها يكافىء الحالات المتباينة التى يتضمنها محيط كل اجتماعيا وطبيعيا . فاذا وضح هذا فتكون دائرة تلقيح الثقافة المصرية قد تبينت بقرارة الذهنية العربية لا القوالب الشتى التى تصب فيها الذهنية الغربية . أقول هذا لاجلاء غامض قد يستغله دعاة العربية فى هذا القطر المسكين الذى ينتفض جزعاً على مستقبله من دعاة العربيه Pan Arabism ولم يدفعنى الى هذا إلا رغبة فى العلم ونزعتى الانسانية الى أن أقف موقف المرشد فى بلد فقد مرشديه وضل سبيله بين مختلف الدعوات .

ان العربيه والاتحاد العربى يا أبناء مصر لم يجدكم فى ماضيكم خيراً ولن يجديكم فى حاضركم ولا فى مستقبلكم ، فانفضوا غبار الجمود والحياة بينة الطريق ممهدة لكم فادلفوا اليها بأقدامكم .

اتركوا اللغة العربية الفصحى فلكم فى العامية لغة قومية ، نظموها وضعوا لها قواعدها تحرروا من ربقة اللغة العربيه واستعبادها لكم . وانى شخصيا لم أعرف العامية الا منذ أعوام

قلائل حيث عرفت العربية من الكتب وعلى أيدى الأساتذة المستشرقين وفى فترات قليلة ترددت فيها على مصر ولكن منذ حططت رحالى فى مصر لدراسة حياتها الاجتماعية والأدبية وقفت على ثروة جديدة هى اللغة المصرية وهى العربية العامية خطئا والعربية التى تكيفت ومحيط مصر فى الواقع ، فهذه هى لغتكم وهى أولى بعنايتكم من احياء لغة بدولا يربطكم بهم صلة ولارابط .

واختتم كلمتى بعبارة وجيزة لكنها بليغة فى دلالتها

منطق الغرب قائم على العقل والذهن

وروح الشرق على العاطفة فحسب

والأول ينتهى بكم الى الحياة الانسانية فى صميمها

والثانى يذهب بكم الى الآخرة ولكن فى هذه الحياة !

الوسيلية والأدب العربي

بقلم سلامه موسى

لو كنت وزيرا للمعارف لأمرت بترجمة كتاب «الفلسفة العملية» أو «الوسيلية» لوليم جيمس فان هذه الفلسفة هي أجد الفلسفات وهي لذلك اكثرها انطباقا على الاجتماع الحاضر . واذا كانت الفلسفة هي المفتاح الذى نفهم به الحقائق ومغزاها ازاء الحياة الانسانية فان هذه الفلسفة لوسيلية لا تنير الذهن فقط بل تبعث على النشاط الاجتماعي المفيد .

وقد اطلقنا اسم الوسيلية على هذه الفلسفة لأنها تعبر عن الغاية التى قصد اليها مؤلفها . فانه يرى أن الحقائق انما هي الا وسائل نستخدمها للاهتداء بها فى العيش : فليست قيمتها انها صحيحة فى ذاتها بل انها تخدمنا ولو كانت هذه الخدمة مقصورة على عصر ما . فالجاذبية التى قال بها نيوطن كانت صحيحة ما دامت قد خدمتنا فى فهم الطبيعيات وما دامت قد أثمرت الآلات التى وفرت لنا الصناعات الكبرى . والنسبية التى تناقضها والتى يقول بها اينشتين صحيحة الآن لأنها مفتاح الطبيعيات الجديدة .

وقل مثل ذلك فى سائر الحقائق . فان تعدد الالهة عند الامم القديمة كان من الحقائق الصحيحة لأنها خدمتهم فى حدود اجتماعهم وكانت لهم كالمفتاح الذى يفتح لهم باب الاخلاق السامية . وكذلك التوحيد الذى يناقض التعدد هو الآن حقيقة تخدم اجتماعنا وتدعونا الى الاخاء والبر والتعاطف الانسانى . أى ان تعدد الالهة كان وسيلة العيش الحسن قبل ستة آلاف سنة . وأن التوحيد الان هو وسيلة العيش الحسن . فكلاهما حقيقة تتفق والعصر الذى يعيش فيه .

وبكلمة أخرى تقول أن وليم جيمس كان لا يبالى أن يسأل عن الحقائق هل هى صحيحة فى ذاتها لها وجود مطلق لا شأن لنا به وانما كان يقتنع من الفلسفة بأن غايتها أن تستخدم الحقائق كوسائل العيش البار فقط . فاذا كان هناك فرض فى الفلسفة أو الكيمياء أو الطب او الطبيعيات يخدمنا ويفتح لنا أبواب النشاط الذهنى أو الاجتماعى أو غير ذلك فهذا الفرض حقيقة . وان لم يؤد الى هذه الخدمة فهو ليس من الحقائق .

وهذا بالطبع لا ينفى أن يكون للحقائق وجودا فى ذواتها . وانما يجب ألا تتجه همنا الى ذلك لأن هذا عناء لا يثمر . ومهمة الحقائق أن تخدمنا بحيث تفتح لنا الطريق الى زيادة التوسع الذهنى او الثقافى او الصناعى او الاجتماعى الخ .

ومن هذا النظر يرى القارىء ان الحقائق لا تقاس بماضيها بل بحاضرها ومستقبلها وقيمتها

الاجتماعية . وهل هي تدعو الى الركود ام النشاط . والى الخير أم الشر . أي ان الحقائق وسائل للعيش فقط .

(٥)

وليست قيمة هذه الفلسفة الوسيلية في النظر الى الحقائق فقط بل هي أيضا في النظر الى الطرق التي تتخذ للبحث والدرس وامتحان العقائد والعادات والعرف . فاننا حين تستضيء بالوسيلة لا نسأل هل الديانة الهندوكية صحيحة أم كاذبة بل نسأل هل هذه الديانة تحترم الهندوكيين وتجعلهم يرتقون عاما بعد عام اوقرنا بعد قرن؟ اي اننا لا نسأل ما هو ماضي الهندوكية بل ما هو مستقبلها

وعلى هذا الاعتبار يمكننا ان نسأل عن الادب العربي الآن كما يدرس في كليات الازهر والجامعة المصرية ودار العلوم وكما يمارسه المؤلفون مثل طه حسين والعقاد واحمد امين وزكي مبارك الخ فنقول هل هذا الادب وسيلة من وسائل الرقي للامة المصرية وهل هو يفتح لنا ابوابا للتوسع الذهني والنشاط الاجتماعي او الثقافي ؟

لقد الف العقاد كتابا عن ابن الرومي وألف طه حسين كتابا عن المتنبي والف احمد امين كتابا عن الفرق الاسلاميه . ووضعت الانسة سهير القلماوي كتابا عن ادب الخوارج كما وضع زكي مبارك كتابا عن أثر التصوف في التاريخ والادب . ففي ضوء الوسيليه هل يمكننا ان نقول في هذه الكتب او واحد منها انه تبعثنا قراءته على التوسع الذهني والنشاط الاجتماعي او الثقافي ؟

لا نظن ان من بين هؤلاء الكتاب من يعتقد ان الادب يدرس لذاته وان له قيمة اصلية فيه مجردة عن العلاقة الانسانية . كما لا نظن الا انهم جميعا يؤلفون لجمهور قارىء من الامة المصرية أو الامم عربية . فما هي العلاقة التي تصل بين هذا الجمهور وبين هذه الموضوعات التي تناولها هؤلاء المؤلفون .

اني اعقل ان المستشرقين يؤلفون مثل هذه الكتب لكي يقرأها مستشرقون مثلهم . وعندئذ يعود هذا الادب اخصائيا يكتب ويقرأ كأنه من المواد الخامة التي يأخذها الاديب اذا شاء ويستخدمها او يستخدم بعضها للعبرة التاريخية او اللذة الفنية . أما الجمهور الذي لا يمكنه ان ينظر الى الادب الا من ناحيته الوسيلية فلا يمكنه أن يقرأ هذه المؤلفات

ان الخوارج في التاريخ الاسلامي يشبهون المانويين في التاريخ المسيحي . بل ربما كانت آثار المانوية في تطور المسيحية في اوربا (ومصر) أكبر من آثار الخوارج في الاسلام . ولكنني لا أعقل أن اديبا في اوربا يخرج كتابا عن تاريخ المانوية يناقش فيه مذاهبهم ويعالج أدبهم كما ناقش أحمد امين مذاهب الفرق الاسلامية أو كما عالجت سهير القلماوي أدب الخوارج . وكذلك ابن

الرومى او المتنبى لا يتصل بحياتنا وليست له قيمة «وسيلية» لنا اكثر من قيمة الشاعر الايطالى بترارك للانجليز . ويمكنني أن اعقل كتابا او كتبا تؤلف فى الانجليزية عن المانوية والمانويين وعن بترارك ولكنني عندئذ أجزم بأن مؤلفها ليس من أدباء الانجليز وانما هو من مؤرخيهم بل من مؤرخيهم الاخصائيين

* * *

هذا الانغماس فى الادب العربى الذى تدعو اليه كلية الاداب فى الجامعة ودار العلوم وكليات الازهر قد قطع الصلة بين ادبائنا وبين همومنا القومية . فأديبنا الآن يهتم بدرس ابن الرومى أو المتنبى أو احد الخوارج أو الصوفيين اكثر مما يهتم بدرس مصر الماضية أو الحاضرة . ولذلك من الاصح أن نسمى هؤلاء الادباء مستشرقين بدلا من ان نسميهم أدباء . وهذا الاستشراق الذى نزعوا اليه هو ضرب من الاخصاء وهو اخصاء مفيد فى ناحيته التاريخيه — ولكنه مثل كل اخصاء يبعث على التحديد بدلا من التوسع وعلى الكبرياء بدلا من التواضع

ومن هنا هذه الجبانة التى ينظر بها هؤلاء الادباء واضرابهم الى مسائلنا الاجتماعيه الحادة فانهم لا يبالونها بتاتا كانهم لا يعيشون فى مصر ولا يحبون المصريين . ففى مصر نحو عشرة ملايين فلاح رجالا ونساء وأطفالا يعيشون على الذرة والبصل ويكاد لا يخلو جسم واحد منهم من ديدان البلهارسيا ويسكنون فى مساكن ليس بها مراحيض ومع ذلك لا يجدون فى واحد من هؤلاء الادباء من يعطف عليهم أو يدرس حالهم . لا بل أن درس الخوارج أهم عندهم من درس هؤلاء الفلاحين

وكلمة أخرى أختم بها هذه الغضبة وهو أن هؤلاء الادباء لو كانوا يعيشون فى تركيا وألفوا مثل هذه الكتب لما وسع أتاتورك كمال الا أن يطردهم من بلاده باعتبارهم رجعيين يؤذون البلاد ويؤخرون تطورها ودفعها نحو الطريق التى تصبح فيها عضوا صالحا من الاسرة الاوربية المهذبة المتمدنة

خليل مطران وشعره

للاستاذ روكس زايد العزيزى

جسم ضاو نحيل ، ووجه واضح القسمات ، وجبهة عريضة وحاجبان منفرجان وعينان فيهما هدوء وثورة . وأنف طويل ،ضخم لوكان قطعة من المرمر لسهل جعله تمثالا ، ولو كان قطعة من الماس لثارت من أجل الحصول عليها حرب كونية .وذقن مغموز ، يدل على الطموح ، وشفتان تنطبقان وتتهدل سفلاها لتدل على ميل صاحبها للصرامة وعدم الاكتراث . وصدغان صقيلان يدلان على افراط فى تقدير الحب ، وصمت غامض يشير الى أن صاحبه خلق للسياسة وغموضها

هذا هو هيكل مطران، أتناوله اليوم بالنقد وليس مطران بذي مكانة غامضة ،فنضطر للتعريف به . فطران يتمتع بشهرة تكاد تكون عالمية . يعرفه أدباء العرب ، ويذكره المستشرقون وهم يذكرون ألمع شعرائنا ، وأدبائنا . وخليل مطران اسم من ألمع الاسماء فى شرقنا العربى . — شاعر القطرين — ولست أبالى بعد هذا الذي رأيت من عظمة خليل مطران فى عالم الادب .أن أتناوله بالنقد — خالى الذهن من كل ما يدور حول اسمه من هالات التعظيم ، وطفاوات المدح .

ولست أخفى أن أجازف هذه المجازفة الخطرة ، وليس لى ما اعتمد عليه فى دراسه الخليل سوى ديوانه ، وبعض النتف عن تاريخ حياته ، — قد يكون الصواب حليفى ، وقد يكون الخطأ أليق فى هذه الالمامة ، ولكنى أريد أن تعلم أنى مخلص الاخلاص كله فى ما أقول :

ماذا سجل خليل مطران على نفسه فى مقدمة ديوانه

سجل مطران على نفسه ، — فى مقدمة ديوانه – ما يلى

ا – انه ينظم شعره لامور أربعة :

ه – ترضيه نفسه .

ب – تربية قومه .

ج – تصوير نفسه

د – مجازاة الزمن .

وأول ما يتبادر الى ذهنك وانت تلمس الديوان ، هذه الاسئلة :

هل أرضى الخليل نفسه فى شعره ؟ هل ربى قومه ؟ هل صور نفسه ؟ أكان شعره صورة حية ناطقة بإزمات نفسه وهدأتها ؟ .. وهل أثرت أشعاره فى قومه فجعلتهم أسمى مما كانوا ؟ و هل جارى الخليل زمنه ؟ ! ..

تمر هذه الاسئلة بذهنك ، واذا بها تجيبة ما بعدها من فجيعة . عندما تفتح الصفحة الاولى من ديوان الخليل ، فتواجهك فيها جيف استجداء لا تهفو اليها النفس ، ولا يستسيغ التأمل بها الحس فتقف حائرا فى الخليل ، وأخلاق الخليل . وتطرح على نفسك أسئلة لا عدد لها ، ولا جواب لها غالبا : ما هذا الرجل ؟ أهو رجل فوق البشر ؟ يحاول أن يصور الناس فيصور نفسه ، فيرى الناس ذلك منه ملقاً وتدجيلا ؟ ! أم رجل يستجدي الناس ، وجيوبهم لفقره ؟ وقديما كان الفقر آفة العلم ، والحلم ، والاخلاق ! أم رجل يحاول أن يكون فوق ما هو ، فتبدو مقاتل ضعفه لكل ذي عينين ؟ أم هو ثائر يتشاعر ، فيهذي ، ويتمرد على نفسه فيتشاعر فى كل عرس ، وينظم فى كل جنازة ؟ أم هو شاعر موهوب ، يريد أن يتخلص من ضعف الشاعر ، فيرتطم مفلسا ، ويبدو غريبا ؟ أم شاعر جنت عليه الصحافة التى احترفها ، فجعلته يتخذ الشعر حرفة ، كأن لا علاقة بين عواطفه والحوادث ؟ ! فهو ينظم الشعر لان الاحوال تتطلب ذلك منه كما يكتب الصحفى المقال الذى تتطلبه المناسبة ، لقاء أجرينتا وله ، وإن كان يعاكس رأيه ، ويخالف مذهبه السياسى ! . . . .

لك أن تتصور الخليل واحدا من هؤلاء . ولك أن تتخيله مزيجا من هذه العناصر ، فانك لواجد فيه هذا المزيج المضطرب عندما تأتى على ديوانه قراءة ودرسا ! . . . .

الملق والاستجداء فى ديوان الخليل

هوذا ديوان الخليل بين يديك ، فى الصفحة الاولى ، نموذج من الملق ، له رائحة تؤذى النفس « الى فخر رجال الزمن ؟ ! وبقية أبدال الوطن ، صاحب العطوفة ، محمد شاكر باشا ، ونجله الكريم ، بغية الذكاء والعلوم » ؟ ! « محمد بك كنج ! . . فى الصفحة ذاتها تجد ما يصدم الحس . « تحلية الديوان ، باسم الصفى الحميم ، الوفى ، عنوان كتاب المجيد ؟ » مثال النباهة والجد « ؟ » على بك المترلاوى . . .

وتقرأ فى صفحة ١ ، قصيدته فى ذمة الله ، رثاء الأميرة كاملة هانم ، كريمة صاحب الدولة الأمير حسين باشا كامل . فتشاهد ما يضحك ، ويؤلم فى الوقت نفسه . يضحك لأن مثل هذا القول لايقال فى رثاء بشر . ويؤلم لان قولا مثله يصدر عن رجل له من المنزلة فى عالم الأدب ما لشاعر القطرين .

من الملأ الأسمى على ذلك القبر ملائك حراس الفضيلة ، والطهر !

سجود على باب الضريح الذى ثوت به مصطفاة الله . كاملة البر ! . . .

وتنتقل الى ص ٦٠ فتسمع أغرب من ذلك فى مولد الكريمة الأولى للمرحوم تقولا توما .

يابنت أكـرم والد ! واعف ربات الخـدور !

وصفـات أمك مثلت بك ، فاغتديت بلا نظير

لا أريد أن أعلق على هذا القول . فهو يعلق على نفسه . والقارىء الذى له أقل المام بالتحليل النفسى ، يدري ما وراءه من دوافع ، واغراض نفسية مكبوتة . فان كان الشاعر يعطف على والدة الطفلة فله عذره ولسنا والحمد لله ممن يريدون ان يحولوا قلوب البشر قطعا من المرمر ، ولكننا نريدهم ان يقفوا فى عواطفهم عند حد مقرر — لان العواطف منطقا يخالف منطق العقل : والا فلست ادرى واقه أى منطق يجيز للمطران ان يجعل تلك المرأة أعف ربات الخدور ؟ نقول هذا وان كنا لا نشك لحظة فى سمو الخليل ، وعفافه . اجل لا نشك لحظة فى عذرية حبه . وقد يعذره القارىء يوم يعرف رأيه فى المرأة ، وفى الحب ، فافتح الديوان واقرأ فى الصفحة ال ٨٩ آية من مخلفة الجمال فى قصيدته الاسرة المباركة .

فريدته وهى شمس الحمى تقر عيونكم الناظرة

تغذى النفوس بأقوالها وتشرب آدابها الطاهرة

وتمر يدك بالديوان فتقرأ فى ص ١٣٢ ، قصيدة وسام الشفقة . فتجد القصيدة هزيلة . ولكن الاميرة الكمندره لا بد لها من قصيدة فن لهذا الموقف غير الخليل ، شاعر القطرين ، اليست الاميرة بقادرة على ان تقوم له بالدعاية ، فما باله لا يقايضها المديح مقايضة؟ وماله لا يتقرب اليها بالفاظ موزونة لا تكلفه عاطفة ولا جهدا . انها تملك عناصر القوة الثلاثة . المال . والجمال . والجاه فليعفر الخليل وجهه بتراب قدميها ! ولينظم هـذه القصيدة وليجعل خلالها تتحول وساما : وليجعل نجوم السماء تتساقط وتضحى جواهر لترصع ذاك الوسام . وليخسف هذا الكون وما على الخليل اذا كانت الاميرة راضية عنه ان يضمحل الوجود وتتساقط زهر نجومه

ولا اريد ان احيلك على قصيدته الى هذا الهمام عمر بك سلطان . انها آية فى الاستجداء واذا قرأت ما قاله فى تعزية محمد بك العريبى ، ص ٢٨٢ فانك سائل نفسك فورا : ماذا ابقى الرجل لمديح ام المسيح ، وهو الكاثوليكى القح ؟ وماذا أبقى للزهراء لو كان مسلما ؟ فاسمع :

مضت عمرها لا يعرف الظن خدرها الى ان يكون الخير فيه فيهتدى

مليكة احسان ، ملاك طهارة سماء عفاف ، شمس بر وسؤدد

لا يعنيني ان تكون تلك المرحومة كما وصفها الخليل ، نزلت من سماء السموات منزهة من كل ما يشين ، اجل ان ذلك لا يهمني ، ولكن الذي يهمني من الامر هو ان الخليل ليس، جاهلا لعلم النفس فيجوز له ان يتغفل الناس ويتغفل نقمه الى هذا الحد

ويعذر الخليل قارئيه اذا قالوا ان الملق له حظ غير مبخوس في ديوانه . فالهلال والنجمه ، ونسمة الزهر ، وعيد العمر ، كلها ملق واستجداء لا عواطف . ولكن ملق الخليل من طراز غير هذا الطراز المبتذل الرخيص . انه ملق للاميرات والأمراء . والباشوات . والبكوات ، والنابهين ، والاذكياء !..

تملق يلبس مطارف من روعة الشعر ، وجلاله . والغريب أن الخليل مع كل ملقه الذي رأيت، يريد ان يوهم الناس ويخدع نفسه ، فيقول ان المديح والاطراء ليس من شيمه . ص ٢٦٣

«مالي ولا بيك أمارئه ، فما هي شيمتي ، وأبوك لا يعنيه ما يروى الورى عنه و من الأخبار .

أرأيت مايقول الخليل ، أن الرجل المسكين قد خلق والتلطف فيه سجية ، فاستغل أصدقاؤه ومريدوه لطفه هذا استغلالا شنيعاً ، فاستحال مع الأيام لسانه ملقاً . وليست هذه أولى جنايات اللطف في الشرق ! . . .

مطران والوطنية

تمضي مطران شطراً من عمره صحفيا . وانخرط في معمعة السياسة كاتباً . وعلمته السياسة أن يكون لبقاً ، يطمن طعناته من وراء الستار ، ويبوح بمكنونات نفسه من خلف حجاب من الرمز ، والايماء . ورأى مايعاني قومه من ذلة ، وصغار . وما تجيش به نفوسهم من عواطف ، وما يطمح اليه من حرية ، واستقلال ، وشاهد الى جانب ذلك أشلاء المنقوم عليهم يثقلها الحديد. وتطرح في أعماق اليسفور . ورأى قلم المراقبة التركية ينهال على الصحف فتقفر حقولها ، وتغل عناقها ، وتطيح رؤوس كتابها عند اللزوم ، فعلمته الحوادث أن يكون ناقما يكظم نقمته ، وثائراً يجتر ثورته . ويائسا ينفجر يأسه بركانا من السخط ، صب حممه على عبد الحميد ، ولكنه أنجنح الى التاريخ يتخذ له من رجالاته أبطالا يصب عليهم جام غضبه . فهو يوم يبعث لقصيدته «شيخ أثينا» الى صديقه محمد بك أبي نصر ، انما ينفث في كل بيت من أبياتها روحه المتألمة لذل قومه . الثائرة على جمودهم الساخطة على استكانتهم . وهو انما يكتبها بدمه . فينذر ما يشاء له الانذار ، يستهل القصيدة ببيت يحرز القلوب الجامدة ، ويثير الهمم الفاترة .

يا عبرة الدهر ! جاوزت المدى فينا ! . . . حتى لبأنف أن تنعاه ماضينا ! . . .

ويندفع مع عواطفه فيمديك بحماسته . وينقل اليك ثورة نفسه . وتراه بطلا يهزأ بالدهر وكوارثه وأحداثه ، ويطلب منها المزيد ، لعلها تكون منبهة لهذه الأمة الخاملة الذليلة ! . . .

فزد مصائبنا ، حتى تنبهنا ، تكن حياة لنا ، من حيث ترزينا !..

واذ رأي قومه يتعثرون بأثواب الذل ، ويتخذون من الصوم و الصلاة ملهاة لهم عن ذلهم الحاضر ، آملين نعيم المستقبل يهتف قائلا ! . . .

وليرجع الصوم لاأجر يصاحبه الصائمين ، على الذل المصلينا .

وعندما يشاهد هذه البهم السائمة . تلهو بأعيادها ، عن نكباتها وآلامها ، وتحترب على اخرتها قد اضاعت دياها ، ينقم على الاعياد ، ويسخط على المعيدين

ولا يعد عيد قربان ، أينفعنا ذبح انعاج ؟ واعداءنا أتضحينا !

ويوم رأى ظلم عبد الحميد واتباعه لا يقف عند حد . ورأى قومه على ذلهم صابرين ، كأن الله لم يخلق لطاعته فى هذه الارض غيرهم من البشر : وشاهد قلوبهم عادت لا تحس ولا تشعر كأنها قطع من المرمر ، وابصر نفوسهم تتحول قذارة دفرة ، وشاهد أن مثل هذه الامة كالكبش المذبوح لا يؤلمها السلخ ، عمد الى الطغاة يهددهم ويتوعدهم

انا لنصبر ، حتى تستتم بنا تأديب ظلمك ، او نقضي مذليا !

واذا شاهد تخاذل الشرقيين ، واتفاقهم على ان لايتفقوا قال :

صرنا حيارى ، سكارى من تخاذلنا واسعفتهم يدانا فى تلاشينا
تالله امـا غلبونا حيث باسلنا فضى قتيلا ، ونالوا من نواحينا
لـكنهم غلبونا ، حين ملـكهم ازمة الارض شادينا وراضينا
فما هم باعادينا ، خلائقنا ـ هى التى اصبحت ـ اعدى اعادينا

واذا ابصر احرار العرب يقتلون . وشاهد عبد الحميد لا يرعى فيهم الا ولاذمه ، وشاهد اعراضا تباح بسبب الجواسيس من العرب . يعمد الى قصيدة مقتل بزرجمهر ، تلك القصيدة الخالدة . التى لاتبلى الأيام جدتها . مرفى روعة خيالها ، وسمو تصورها ، ودقة تصويرها ، وجلال معانيها ، القصيدة التى تحكم للخليل بالشاعرية ولو لم يكن له سواها ! . . .

هم حكموه فاستبد تحكما . وهم أرادوا أن يصول فصالا !
لـكن خفض الأكـثرين جناحهم ، رفع الملوك وسود الأبطال ،
واذا رأيت الموج يسفل بعضه ، ألفيت تاليه طغى وتعالى ،

ويوجه كـلامه العرب على طريقته الصحفية . مستعيرا الفرس وهو يقصد قومه

يأمة الفرس « ؟ » الاسود على المدى ! ماذا أحالك فى السلام سخالا ؟ !

كنتم كباراً فى الحروب ؛ أعزة . والبوم ، بتم صاغرين مثالا ! . . .
عباد كسرى ! مانحيه نفوسكم ! ورقابكم ، والعرض ، والأموالا

أى أنتم أيها الاخوة المسلمون ، الذين تتخذون هذا الطاغية الها تعبدونه من دون الله ، تعظمونه خليفة وتقدسونه سلطانا ، وتمنحونه طاعتكم ، وحبكم ، وهو لا ينى يفتك برقابكم وأعراضكم وأموالكم هلا انتبهتم لهذا الوحش !

تستقبلون نماله بوجوهكم ، وتعفرون أذلة اوجالا !

وكان يلتفت الى عبد الحميد يخاطبه بقوله

شر العيال عليهم وأعقهم لهم يزعمهم عليه عيالا !
ان يؤتهم فضلا يمن . وان يرم ثأراً يدمهم بالعدو قتالا !
واذا قضى يوما قضاء عادلا ضرب الأنام بعدله الأمثالا ! . . .

وعندما يرى استبداد الملك وأنوثة الرعية يقول :

فلانت كسرى وما ترى تحريمه كان الحرام وما تحل حلالا ! ...

هو تقريع هائل ، لو كان فى الأمة من يشعر أو يحس . وهى بطولة لا نتماها الخليل لو انه جهر برأيه وتعرض من أجله لنكبة ! . .

واذا رأى قصر عبدالحميد يمج بالجوارى العاريات ، وشاهد ذاك الرجل يشبع وحشيته بضروب الفجور ، وشاهد الفتيات لا يأنفن من ارواء نذالاته هتف بلسان ابنة يزجهر معاتبا الرجال الذين يتحملون هذه المخازى ، وجعلهم كلهم نساء ، لا يأنفون من رؤية العار والخنا .

ما كانت الحسناء ترفع سترها لو أن فى هذى الجموع رجالا ! ...

وتمر الايام بهذا الرجل فتكسبه استقامه ومصائبه صلابة وعزما ، فاذا به كالمتنبى تتكسر النصال فى قلبه فتصبح درعا يدرأ عنه السهام السامة

ثباتى من السقم المقيم أفدته وصبرى ، ما أكسبتنى المتاعب

مطران والوصف والخيال

ليس الخيال مقصورا على الشاعر ، فالكاتب الذى ضاقت آفاق خياله ، تأتى كتابته سمجة مملولة . اذن فالخيال للشاعر والكاتب بمنزلة الجناحين للطائر ، فبالخيال يحلق الشاعر والكاتب إلى سماء التصور وبه يتصلان بمثل الالهام العليا ، بينما غيرهما فى حضيض من المادة لاصقون

ونحن عند ما نطالع اشعار المطران نرى حظه من الخيال ، حظا غير مبخوس . فهو واسع الخيال ، بعيد التصور وانك لتطالع بعض اشعاره وكأنك تلمس ما يصف فيها لمساً . فاليك

هذه القطعة :

وليل به طفنا الجزيرة كلها تذكرته لا تدمع العين ، بل تدمى ! ...
كأن غبارا أحدثته جيادنا كما الكوكب الدرى ـ من كدر ـ سقيا
تسير مع النيل المبارك ضاحكا — لنا عن شبيه النصل فى كبد الظلما
ويرنو الينا عن بعيد بعينه — سراج رقيب . ثم يغمضها لؤما .
وتبدى لنا الأغصان شبه تحية ، وتستقبل الأرواح أوجهنا لثما
كأن لنا الدنيا وما فى سمائها . وما دونها ملكا . وان لنا الحكما

وقوله فى قصيدة اشتباه ايضا :

مزاج رقيق ، وجسم نحيف . وقلب رفيق ، وظل خفيف
ولفظ لعوب ، ولحظ وثوب ، وعقل رصين ، ورأى حصيف .
كذاك خلقت . فكنت كما يشاء الصبى ، والضمير العفيف .
وليلة بدر صفا جوها ، وباح بسر السكون الخفيف
والقت بسمع ظلال الرياض لنجوى قلوب بهن تطيف .
تلوح وتخفى كأن الاشعة آنا مرآة وآنا سجوف
فيلقى شعاع عليها نصيفا وينزع آخر عنها النصيف ،

أما قصيدة القسم ففيها وصف رائع وتحليل لاخلاق المرأة : وفى الاثر الباقى يصف قصة حزينة هدمت جسم صاحبها السقام . وأبلاه داء الغرام العقام :

يا قلب مات بك الغرام ! فعلى لقيتك السلام !
ما تنفع الكأس التى ، بقيت وقد فنى المدام .

وترى جمال الوصف، وسمو الخيال فى قوله

آه ! فى صدر وهى . وتقوست منه العظام !
خاو كجوف النار تملأه المخاوف ، والظلام
سراجا حائلا ، فيه ينير ، بلا ابتسام !
روح تغنيه على ضريح فى صميم القلب قام !

وما أروع هذين البيتين وصفا وخيالا !

رى مثل سهدى فى الكوكب احل به مثل ما حل بى ؟
يهيم هيامى من وجده ، ويهرب من مهده مهربى !

مطران والحب والمرأة ووجيهما له !

لا اغالي مغاليا اذا قلت « ان الحب والمرأة هما اللذان امليا اروع اشعار مطران »

فمطران على عفة لسانه ، وسمو اخلاقه ، رجل مثنات ، يعيش للمرأة ، ويراها سر الوجود . وكيف لا يراها الخليل كذلك وهي ينبوع الحب ومعينه . والحب في رأي الخليل روح هذا الوجود : اليس الهوى، روح هذا الوجود ، كاشاءت الحكمة القادرة ؟

والذي يراه دارس اسفار الخليل ان مطران قد اصيب بفجيعة غرامية في طور من أطوار حياته حيث لا تسمح له تقاليدنا الشرقية بان يبوح به فرمسه في اقصى طيات قلبه . وظل يعالج أتونه بين حناياضلوعه ، والأيام لا تزيده إلا حدة واستعارا الى ان تحول قطعا من الشعر الرائع الذي ينم على الخليل المتكتم الصامت ، ويدل على ان قلبه قد انصهر وعلى ان هذا الشاعر ذاق من لوعات الغرام ولذاته ما أوحى له بهذه القصيدة المنسوبة وقائمها لغيره « حكاية عاشقين » والحقيقة انها ترجمة حاله :

أحبك حتى لاسرور ولا منى ، ولا شمس ، الا ان أراك ، ولا نجما
أحبك حتى ينكر الحب رسله : جميلا، وقيما ، والأولى استشهدوا قدما !
ولو لم تكن في الموت سلوى اخافها ، لاحببت ـ حتى ـ الموت فيك، ولاذما !

واليك قوله الذي يدل صراحة على الجزيرة الغرامية التي روعت قلبه فايقظته من الغرام قد حالت بينه وبين لذة الحياة : وها هو ذا ينادينا قائلا :

احبائي ! اني مذ افقت من الهوي شقي . فكونوا ـ الدهر ـ فيه سكاري !
اذيبوا القلوب الداميات تصبيأ ! ولاشوا النفوس الذاكيات شراراً !

وانك لتتخيل الخليل وقد أفاق من هواه كثر اسيلوس اليوناني يوم شفاء كريتون من جنونه فهو يود الرجوع الى أيام نعيمة المفقود

أما المرأة التي هي مصدر الحب ، وينبوعه ، فيراها الخليل كل ماني هذا الوجود فاسمع :

انت في الحياة . وكاذب غير الهوي للمائث الملحود !
اما العظائم ، والعلى ، فشاغل . خلقت من التفكير والتمهيد !
لا تملأ القلب الخلي . ودأبها ، نهك القوى في شقوة ، وسمود
ولعل غاية كل طالب رفعة ارضاء ذات سلاسل ، وعقود !

ويري الخليل فوق هذا ان الحب ضرورة لازمة ، ولا سيا لاصحاب النفوس الكبير

والحقيقة انه ضروري للشعراء والفنانين ولكن هؤلاء يتخذون المرأة والحب وسيلة للانتاج ليس غير

والحب هو الذي يكسب الشاعر رقة العاطفة ، ودقة الاحساس ، وهو الذي يكشف له نواحي الضعف الانساني ويجعله يتمنى تمنيات تعد من أروع الشعر ، ويجعله ينقم على الفقر ، مع ان الفقر على حد تعبير الافرنج « خطيئة الشاعر » والحب الذي جعل الخليل يرى فى الحمامة الهاتفة صورة لقلبه الذى افناه مر الدقائق ونبض الثوانى !

وليلة بت فيها	وقد جفانى رقادى !
تمنى الدقائق قلبي	ورياً ، كورى الزناد
من الصبابة مهدى ،	ومن سقامى وسادي !
راحت حشاي بنوح ،	حمامة فى ارتياد !..

ولوعات الهوى هى التي جعلت الخليل يرى مثل سهده فى الكوكب . ومع كل تعظيم الخليل فليس مهد حبه فاسقا . ولا غرامه داعرا . ولكنه مثالى النزعة فاسمع :

وكم عرضت لى غانيات فعفتها	وصنت ضميري ، والسان المقيدا .
وغال فؤادى البين الا بقية ،	فقى الحب ان احيا بها فاهديا !

ويقول على ذمته انه كان موحداً فى حبه :

وأقسمت ما اشركت فيك ولم يكن	لى فى الهوى سوى التوحيد

والحب هو الذى أرانا نقمة الخليل على الطب والأطباء يوم رأى اخفاق الطب فى معالجة من يحب :

قد كذب الطب ، والطبيب ، الا !	انهما علتان للبشر !..
مشعوذ طائف بشعوذة ،	احسر فى عقله ، وفى البصر !..
يحمل بلورة ليدرك ما	ندركه من مجرد النظر .

تلك هى بعض نعم المرأة والحب على الخليل ، وتلك هى بعض نقمها أيضا ! ...

آراء مطران الاجتماعية

قدمنا ان الخليل سامى النفس ، رضى الخلق ، متسامح . ولعل تسامحه هو الذى جنى عليه وصيره متملقا وهو يحاول ارضاء البشر كافة . وها نحن نعرض لآرائه الاجتماعية :

ا ـ رأيه في الدين .

تعجب إذا رأيت مطران شديد السخط على رجال الدين ، ولكن عجبك يزول اذا علمت ان حادثة جرت له مع أحد رجال الدين جعلته ينقم عليهم ويطلب تجريدهم من السلطة ولا سيا تلك التي تخولهم السيطرة على الزواج وأخذ سخطه يمتد الى ان طلب الاستغناء عن رجال الدين البتة وهذه خلاصة الدين في اعتقاده واعتقاد كل عاقل :

صدقوا رأس التقى التعدل فان كان قولا ، فهو زور . وافتآت
هكذا القوم وما تقواهم فقر يتلونها ، أو دعوات !

واسمع تقريعه لرجال الدين :

رسل المسيح ! الشاربين دماءه ! الآكلين بلا تقى احشاءه !
المولمين عليه ، كل نهار ! . . .

أي القسوس اتى البنات فزوجا ؟ بعضا لبعض بالنشيد ليتجا ؟
في « صيغة » نسلا من الاحبار ؟ !

والعدل يقضى بالخراج لتبصرا والصفح عن كل يمىء من الورى
هذه ديانته بلا انكار !

واذا شاهد دجل بعض رجال الدين ثار ثائره . وقال :

افذ بحكم ذاك المسيح لفدية ؟ ام تلك مأساة تعاد لكدية ؟
أم ذاك مصطبح ، ورشف عقار .

وينقم يوم يرى تحكم رجال الدين في ضمائر البشر . وينادي بطرحه على خلاف عادته طالبا الغاء سلطة رجال الدين . ملحقا بهدم ما أقاموا من مراتب أو مناصب .

التي مبادئها وكلا خولا تعليمها ونفى الرياسة والعلى !
منها . وتزهها عن الامرار ! ..

واذا شاهد من رجال الدين كزازة النفس ، وعدم التسامح قال

وارادكم لتعلموا وتبشروا وارادكم لتسامحوا ولتغفروا
ودعا الصغار اليه باستئثار !

ويوم يشاهد قصورهم كقلاع القرون الوسطى حصينة ، وبطونهم تكتظ بطيبات الحياة ، والمؤمنون ساغبون ، لاغبون ، يوجه اليهم أمر النقد واقذعه

ونذرتم لله بطنا مضيعا وبدا اذا مدت فكنيا تجمعا
وعقيدة للشجب والانذار ! ..

وزهدتم فی غیر ما ترضونه ورغبتم عن کل ما تأبونه
الاعلى قدر من الاظهار !

واذا رأي طائفيتهم وما فيهامن حماقة صارخة قال
وقسمتم دين المسيح مذاهبا تستكثرون مراتبا ومناصبا
فأضيع بين تشتت الأفكار !

ويحتقر سلطة رجال الدين التى لا تقوم على الحب ، بل على التسلط المتزمت فيقول :
وجعلتم الكهنوت جيشاً غالبا وأقمتموه على الضمير مراقبا
وقتلتم حرية المختار

لا تنقضوا بيتاً لدي تكوينه وحذار من يتم الصغير بدينه
وحذار من بأس المضيم حذار

هذى المذاهب كلها دين الهدى كأشعة الشمس افترقن الى هدى
والملتقى فى مصدر الأنوار

كانت ترى ان خلاصــة رأيه فى الدين انه يرى الدين عمــلا صالحا لا أقوالا مزخرفة وصلوات موزونة وادعية مبهمة ، وأسرارا غامضه تهم علماء الدين ولا تفيد ضمير البشرية قليلا ولا كثيراً

ويرى أن سلطة رجال الدين وتدخلهم فى كل أمر من أمور حياة البشر ليس لها من دين المسيح ما يؤيدها وهو الذى نقم على السلطة وأسس دينــه على التسامح والعطف هو ناقم على تدخل رجال الدين فى الزواج . ناقم على الطائفيــة . بل ينعب الى مدى أبعد ، وهو ان كل المــذاهب فى نظره تنتهى الى غاية واحدة . وتتلاشى فى مصدرها الازلى وهو الله . وعلى كل ما فى آرائه هــذه من حدة لابد لنا من التأمل فى الدوافع النفسية التى أوحت له هذه الآراء . فلقد رأى كاهنا كاثوليكيا يحاول باسم السلطة الدينية أن ينقض زواجاً أبرم وانتج غلاما ، كاد يقضى عليه بأنه نغيل لو نجح ذلك الــكاهن فى مسعاه . ونذكر أن مطران قد تذرع بكل أساليب البلاغة ، والمنطق والبيان لــكى تحول بين هــذا الكاهن وبين تحطيم سمعة تلك العائلة فأصر واستمر على إصراره فأوحت هــذه الحضونة لمطران قصيدته الرائعة وآراءه التى رأيتها مسطورة فى ابياته ! ...

ب ـ رأيه فى المدنية

ما رأيه فى المدنية فما أظنه يسر انصارها . يرى هذه المدنية رقا انسانيا يسعى اليه البشر طائعون فهذه المدنية التى يبعث فيها الأعراض بالأساور والحلى ، وهذه المدنية التى عودت بعض الأزواج أن يتاجروا بأعراض نسائهم وبأعراض ابنائهم وبناتهم فانه ليحتقرها ويحتقر زمنها . فاسمع قوله :

فك الخزي ، من عصر يفاخر ما خلا وقد عود الاطفال فيه التسولا !
وسيمت به الابكار سوما محللا وباعت نساء ولدها واشترت حلى
والتي رجال بالبنوة في الوحل

فتحترف الازواج بنى نساءها وتحترف الزوجات خلع حيائها
وولد خلت آباؤها عن ابائها يتاجر في اعراضها وبهائها
وتنمو على خلق الفاسد والختل

هكذا أدبت ليلى فعليا وطالما ذووها ليضحوا بعد حين عيالها
فتطعمهم من خزيها ما جنى لها وتحكوهم ما تعرى جمالها
وتحمل مافى العيش منهم من الثقل

تعسيد لمى عشاقها باحتيالها وتبتز منها أمها فضل مالها
فتنفقه في روحها ودلالها وتقنى الحلى ممتاضة عن جمالها
بأوسمة القبح فى الغيب والعطل

ج ـ رأيه في الزعامة

أما رأيه في الزعامة . فيراها تظاهرا بالعطف على الضعفاء ، ليقلوا بقيادهم الى زعيم يخدعهم ، ولا يرعى فيهم عهدا

أيها الجهال كل منهم قائد تؤثر عنه الخدعات

د ـ رأيه في العلاقات الجنسيه

ويرى أن علاقة الجنسين يجب أن تكون بريئة من اللمس والتقبيل

لئن جاز مس البكر أو ساغ لثمها بلا حرج مادام يؤمن ثلمها
فلم زهرة الروض التى هى رسمها اذا بذلت جفت ولو حين كمها
ولم تستمد زهوا وطيبا من الطل

ويرى انه لابد من معاقبة أولئك الذين يغررون بالفتيات ويسطون على أعراضهن
أيهتك عرض البكر وهو مخاتل ويسرق ما تحنيه زلا حامل
ويروي ابنه المسكين والعدل غافل فواخجلتا زان ولص وقاتل
ويكرم بين الناس اكرام ذي فضل . . .

مطران والرثاء وعاطفة الوفاء

لخليل مطران براعة فى الرثاء ، وهو وفى لاصدقائه ، وله عاطفة رقيقة تصدق وصفه لنفسه :

والذى درعه فؤاد رقيق فجريح أن يقتحم أو يقاحم ! ...

وانت اذا نظرت الى هـذه الابيات وما فيها من روعة علمت أن الرجل يكاد يـكون ممتازا فى الرثاء :

أنا فى الروض ساهر وهو نائم . بت فى قرة الدجى وهو ناعم !
كلما جئته ـ وقلبى باك ـ رق دمعى كأنه ، فهو باسم !
يا لعزمى من الاسى والحلى ! اسعدانى ! اعلى الرزايا الغواشم؟ ...
الامان ! الامان ! القيت سيفى وطويت اللواء تسليم راغم ! ...

ولله هذا البيت ما أبلغ تصويره

ان من سيفه شباب نضير ، فعيوب الشباب فيه مناقم ! ...

وتلمس وفاءه فى رثائه لسليم برقش

ويزيدنى أنس المجالس وحشة اذ لا أراك محدثا ونديما ;

وانه ليمدحه أشرف المدح ، واعفه وابعده عن الاسفاف والاستجداء فى قوله :

وتحيل ! كثر ما تحيل مجاهدا ، وتلين أكثر ما تلين رحيما !
وتصيب يسرك غير مهتم به ، وتقر عينك أن يكون عميما !
ولقد تـكون من القناعة فى غنى ، وتـكون فى نزق الشباب حكيما

أما رثاؤه للمرحوم ابراهيم اليازجى فآية فى صدق العاطفة ! ...

مطران والتحليل النفسى

للمطران فوق ما تقدم حظ من التحليل النفسى ، فها هو ذا يصور تعسية المومس عند ما ترى ذات البعل تتمتع باحترام الناس وعطفهم . يوم ترى طفل ذات مبعل تنهال عليه القبل وينعم بعواطف الناس وطفلها محروم من كل ذلك .

يتمزق قلبها حزناً ، فالخليل يصور نفسها ، ويقابل بين سرور الزوجة بقرب الولادة وحزن المومس يقابل بين سرور تلك باهلال مولودها وحزن تلك بقوله :

يجف دماغى ما تفـكرت أننى ، على وشك وضع والشقاء يحفنى
ولم أر حولى من معين ومحسن وكم أطلب الرزق العصى فأنثنى
وقد ناء بى عن قصده ثقل الحمل !

ألا لم هذا الطفل يحيا ولا أبا　له أليشقى شقوتى ويسغبا ؟
كفى قلب أحنى الوالدات تحوبا　وحاشاه أن يأتى قريباً إذا أبى
حياة الأسى والجوع للولد النغل
أتثنيك عن مهد بقية أضلعى ؟　ويغنيك عن شدو نواح تفجعى
وهل تتغذى من فؤادى المقطع　وتشرب ماء من سواكب أدمعى
وهل تترددى العار المستر يا نجلى ؟ !

وتذهب فى قراءة هذه القصيدة الرائعة فترى الرجل يغوص وراء أدق خلجات النفس يصورها ويحللها !

مطران والقصة

قد يكون مطران قصاصاً ، قبل أن يولد شاعراً ، فالذى يرى قصصه الشعرية يحكم معنا أن الرجل خلق للقصة ، ولكن الأيام لم تواتِه فاحترف الشعر حرفة . فهذه القصص تثبت قولنا :

ا — شهيد المروءة والغرام

ب — حكاية عاشقين

ج — الجنين الشهيد !

إنها تصرخ بأن الرجل قد ولد قصاصاً ومؤرخاً قبل أن يكون شاعراً . ولكنه تتبع الشعر فنبغ فيه نبوغاً يحسد عليه فشعر مطران يرتفع أحياناً فيسمو إلى ذروة الخيال والفن ، ويهبط أحياناً فيأتى فسلا مرذولا

مطروقات مطران

فاذا رأيت هذه الأبيات آمنت أن فى شعر مطران سخافات مبتذلة فاسمع :

قضى أبوك وقبلا مات والده　وقبله مات أجيال وأجيال

فمثل هذا القول المطروق لا يرفع من قيمة مطران ، ولا يعلى منزلته . ولعل قول العامة « هذا كأس على كل الناس » خير من قول المطران هذا !

وقوله :

يا من أضاعوا ودادى　ردوا على فؤادى

لا يختلف فى معناه عن قول العامة فى الرثاء :

ردوا اقليبى لا تحاوه ردوا اقليبى لا تروحو

يالله اشفقوا عا دموع عينى !

وانك لا ترى فرقا بين قوله وقول العامة بتة :

فبكيناه من أسى والبكا للاسى دوا

قالت العامية

ريت البكا ما كان يجه وان كان للقلب الجريح علاج

واليك قوله هذا ولى الامل أنك سوف تقابل بينه وبين قول العامة الذى يليه :

كلنا يطلب الردى حيثما سعده التوى

. . . .

من غاب سعده قل وعده ما راحته فى غير لحده !

ياعجة يا ميمتى ! ...

منافسة الخليل لشوقى وحافظ

لعل من حظ الادب العربى أن يوجد هؤلاء النوابغ الثلاثة فى عصر واحد ، وفى بلد واحد فلقد كان الواحد منهم يمدح رفيقه وهو يضمر له الحقد والمنافسة ، وكان ميلهم الى الشهرة عظيما وكل كان يحاول أن يكون المقدم. فيحتالون على الشهرة باستحثاث قرائحهم وكلهم يريد أن يأتى بالاعجاز فى شعره وبيانه ! وكلهم يحاول أن يأتى وصفه رائقا وأسلوبه جذابا وتصويره فذا ، فكان صراعهم الصامت هذا يشبه صراعا بين غوانٍ يتزاحمن على قلب رجل واحد ولقد فاق الخليل منافسيه بالوصف والتصوير ، والوصف من صفات الناثر ، وهو الى النثر أقرب منه الى الشعر ، وهذا مايؤيد قولنا أن الرجل وله قصاصا قبل أن يولد شاعرا . وأن الصحافة قد جنت على شاعريته

وانت عند ماتقرأ نثر شوقى ، وحافظ . ونثر الخليل واجد معى ان الخليل يبذهما فى النثر . ويكاد ينخفض عنهما فى رصانة اللغة ودقة الاستعارة على أساليب العرب . ولعل ذلك عائد الى انه أغرم بأدب الغرب وحاول الانفلات من جمود اللغة العربية . فقوله هذا ما أظنه يرضى الذوق العربى .

ياعيونا تسقى العيون الرحيقا ! ...

وعهدنا بالعيون لا تسقى ولا تشرب ، الا فى استعارة متكلفة بعيدة .

وقوله : ولا عين الا بالحداد كحيل .

وكل ما يعرف أن الحداد يلبس لبسا ولا يكتحل به ، وقد غاب عن الناظم الفاضل ان الا كتحال والكحل من علامات المسرة والجمال ، ولاسيما عند العرب الذين ينظم لهم ديوانه !..
راى الخليل أن شوقى نال شهرة من أجل هذا البيت :

انما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا ،

فأخذ هذا البيت وحرفه وأجاد فيه أ كثرمن شوقى ، ولكنه لم يشتهرشهرة بيت شوقى :

ممالك تبنى بالصوارم والقنا وتهدمها أوزارها والمعايب .

وسمع حافظا يروع الناس بمطلع قصيدته فى رثاء مصطفى كامل باشا

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا

فجاء الخليل فى حفلة اربعين مصطفى يلف هذا البيت لفاً ، ويهضمه هضما يكاد يخفى الاصل الذي نقل عنه فاسمعه :

أعلى مكانتك الاله وشرفا فانعم بطيب جواره يامصطفى

حرص الخليل على ضخامة ديوانه

الخليل حريص على أن يجعل ديوانه ضخما ، حريص على أن يجعله ٣٠٣ ثلاثمائة وثلاث صفحات وتلك نقيصه لو تخلص منها وبرء ديوانه من الملق والاستجداء لجاء شعره كسلاسل الذهب ، ولكن كيف يرضى هؤلاء الذين يريدون أن يروا أسماءهم مطبوعة فى الديوان ؟ كيف يظهر لنفسه ولشوقى ولحافظ انه طويل النفس الشعرى ان هو ا كتفى بديوان صغير الحجم مختار القصائد سائغ الشعر . لا نقول هذا تشجيعا للخليل على اباده منتجات قريحته ولكنا نريد أن نقول : انه ما دام قد عمد الى أشعار صباه فالقاها فى النار غير مشفق على ما تنم من عواطف حارة واحساسات جامحة فما احراه بالقاء هذا الملق فى اعماق الجحيم . ولكن الخليل حريص على ضخامة الديوان فليعذر

هل مثل الخليل عصره ؟ هل أدب قومه ؟ وهل أثر شعره فى جيله ؟

إذا كان الخليل يقصد بتصوير عصره وتمثيله ذكرمشكلاته ، وذكر حلولها ، وتصوير أبرز حوادثه، ليقف قارىء أشعاره فى الأيام المقبلة على كل ما يهمه من أمر أهل عصر الخليل ، فلا أ كذب الله ولا أتملق الخيال انه قد أفلس إفلاساً ما بعده من إفلاس . وإذا كان يقصد تمثيل عصره كالصورة التى ذكرها فى بيته هذا :

« وشيمة هذا العصر مين ورية فلا عجب أن يتعب الصادق البر »

فقد أجاد تمثيله ، فلم يرد أن يحمل سلم الطرحة على عرضه في طريق الحياة الضيق الوعر ، فراغ كما يروغ أهل العصر ، وكذب عليهم بما يكذبون على نفوسهم ، ومدحهم بما يغضب الله والضمير ورضيهم . فكان شعره مثالاً لمسجل عصره لا صورة لروح العصر . وإلا فأين كل ما يجيش به العصر من أحداث ،وثورات نفسية ، ؟ اللهم انها مفقودة في ديوان الخليل .

أما تربية قومه فانك لا تظلم الخليل إذا قلت أنه لا يصلح لهذه المهمة ، أجل انك لا تظلمه ، فان كان عن ظلم ، فالخليل هو الذى يظلم نفسه . فهل من التربية القومية أن تقول للجيل الناشيء :

أحباى إنى مذ أفقت من الهوى شقى . فكونوا الدهر فيه سكارى
أذيبوا القلوب الداميات تصبياً ، ولاشوا النفوس الذاكيات شرارا !

وهل يصلح لتربية قومه من يجعل المرأة هي كل ما في الحياة ، وهل هدم الشرق إلا عبادة اللذة ؟

أنت الحقيقة في الحياة وكاذب غير الهوي للعائث المنحود !

إذاً فلقد رأيت معى أن الخليل شديد الاخلاص في تمثيل عصره ، مخفق إلى أبعد حدود الاخفاق في تربية قومه ! فهو يصلح أن يصور نفسه لو استطاع ذلك . وسترى أيضاً أنه لم يصور نفسه ولم يرضها إلا بمقدار .

شخصية الخليل في ديوانه

هنا الحيرة ، وهنا اليقظة المروعة المؤلمة ، التي تمض القلب ، وترمضه . شخصية الخليل حائرة مضطربة غامضة في ديوانه . انه لا يصور نفسه تصويراً خالياً من زخرفة التملق ، فاذا كان الخليل يتملق أصدقاءه ويداجيهم فما ظنك به مع نفسه أن يدللها ويربت على كتفيها ، يدور حول نفسه فيرسمها رسماً رمزياً حتى لتكاد تقول أن الخليل لا شخصية له . ما كنت أحاسب الخليل على هفوته تلك لو لم يسجلها على نفسه بين يدى ديوانه . ولقد كان تصوير الخليل لنفسه باهتاً وباهتاً جداً لا تكاد تراه بالمجهر . فالخليل في ديوانه لا يغضب لنفسه فاذا غضب فانما يغضب للفضيلة ويغضب للمصلحة العامة ، وهذا منتهى ما يصل اليه السمو الانسانى فهذا قوله :

فيم احتباسك للقلم ؟ والأرض قد خضبت بدم ! . .
سدد قويم سنانه في صدر من لم يستقم

ليس للخليل خصوم ولا أعداء ، فالذي يترتب على هذا أنه إنما يكون رجلا أسمى من الفنان أو أنه رجل جبان . وأنا لا أشك في سمو الخليل ، ولكن هل ولد الخليل سامياً مقدساً ، هل طهره الله في بطن أمه كيوحنا المعمدان ؟ هذا ما أشك فيه ، لأنه لم ينزل به انجيل ولا قرآن ، وشكى — قاتله الله — من هذا النوع الملحف الحاد ، الذي لا يقبل من البراهين إلا أن يضع يديه في موضع المسامير والحربة ! . . . .

فالخليل إذا اجتاز دوراً خضع فيه لنزوات الشباب كلها . ولكنه اجتاز العقبات ووقف صخرة من الأخلاق :

ولم أر شيئاً كالفضيلة ثابتاً نبت عنه آفات البلى والمعاطب

ولا يؤخذ على الخليل غير هذا اللطف الطبعي الذي استغله الفقر ومصانعة الأصدقاء فأصبح ملقاً يزرى بأخلاق الخليل .

ولكن أين أشعار الخليل في أيام شبابه ؟ أشعاره التي تصوره بشراً كغيره من الناس ؟ إنه محمد اليها ولا شاها ، وتقرب إلى الله بحرقها كفارة عن نزوات شبابه ، وهفوات صباه ، فأفلس في تصويره لنفسه إفلاساً أسجله عليه . ففي هذا ينفض الخليل يده من ماضيه ويحاول أن يقف المسيح يحمل صليبه إلى جلجثة الشهرة ناسياً لأنه قد أقنع نفسه أن قضيته قد عمت على الناس أجمعين . هنا يكاد الخليل يظهر جاهلا الطبيعة البشرية ، فان المعروف ان لكل ماض هفوات وزلات وجرائم ، والكامل من صان حاضره ، وزن مستقبله . ليته عرف هذا ! إذاً لما حاول حاول أن يصور نفسه مسيحاً هبط العالم على رغمه في القرن التاسع عشر سنة ١٨٧٠ في بعلبك واضطر أن يكون مسيحاً جديداً لم تشر إليه الكتب على رغمه أيضاً — فهو يولد من أبوين من طائفة الروم الملكيين ، ويدرس ويتخرج في مدرسة الروم الكاثوليك البطريركية . ويحرر جريدة الأحوال في بيروت ويهجر مسقط رأسه إلى مصر ويتخذها موطناً ، ويحرر في جريدتي الاهرام والمؤيد ويصدر المجلة المصرية ، ويصدر « جريدة الجوائب المصرية » ثم يتخلى عن ذلك فينطوي على نفسه يستنزل الوحي والالهام . ويضحى رئيساً لجمعية الشعراء خلفاً لشوقي ويؤلف ويترجم لشكسبير ، كل هذا كان للخليل على رغمه طبعاً ولكن الخليل لم يصور نفسه ، بل صور الناس صور الذين يحيطون به . إنهم يحبون الملق فأسرف هو في ما يحبون . . . .

أما أن الخليل قد أرضى نفسه فلا أظنه قد فعل ذلك أيضاً ، فالذي يلاشي أشعار شبابه أو قل شظايا قلبه لا أظنه يكون راضياً عن ذلك ولكنه يخشى أن يظهر للناس على حقيقته . . . .

إنه يحاول الشهرة ، ومع هذا تراه يحاول خديعة نفسه فيقول :

ولم أبال اسمي إن لم يشتهر او اشتهر

فهذا الرجل الذي يجامل أصدقاءه إلى أبعد حدود المجاملة ، ويتملقهم إلى أقصى حدود الملق ، ويتجاوز عن زلاتهم مع انه يجب عليه أن ينبههم لها لم يخلق للنقد ، ولا يصلح أن يكون مهذباً لقومه كما قال في مقدمة ديوانه . فاسمعه :

مجـــاملاً أمثاله على الرخاء والغير
مجتنبـــاً زلاتهم مغتفراً ما يغتفر ! — وما لا يغتفر أيضاً ! —

إذاً فالخليل ليس بذي شخصية واضحة ، ليس بذي شخصية جبارة يفرضها عليك فرضاً ، ولكنه ذو شخصية غامضة حائرة ، فيها لطف وتسامح وكرم أخلاق ، وعفة لسان ، وسمو نفس . .

إنها كلمة سريعة أسأل الله أن أكون قد وفقت لما فيه الحق !

عجلون — شرق الاردن العزيزي

الشخصية

ماهي ؟ ماذا يقويها ؟ ماذا يضعفها

لسلامة موسى

فى تاريخنا الحديث شخصيات كبيرة قد بلغت مراكز سامية فى الامم سواء فى السياسة أم فى الثقافة بحيث يكفى ان نذكر الاسم حتى تمثل فى أذهاننا الشخص، ونمثله كبيرا بقدر تأثرنا باعماله. فان سمع غاندى أو نابليون أو سعد زغلول أو قاسم أمين أو غير هؤلاء من القادة يجعلنا نشعر بشخصية فذة حتى ولو لم نلتق بها فى حياتنا . ذلك أن كلامنها قد ارتسمت فى أذهاننا بمجهودات معينة تجعلنا لانخطىء فى تمييزها

ومع أن هذه المجهودات تختلف بل احيانا تتناقض كما نرى فى نابليون وغاندى فانها تفترق فى أن أصحابها يقصدون الى غاية كبرى أو يخدمون قضية عظمى . حتى أن كلا منهم ليفنى فى هذه الغاية أو فى هذه القضية . واذن نستطيع أن نقول ان الشخصية العظيمة فى التاريخ انما تتكون بالقصد الى غاية أو بالخدمة لقضية . وهى تكبر بمقدار أهمية هذه الغاية أو هذه القضية

ولسنا نبغى هنا تحليل مثل هذه الشخصيات. أولا لان كل حالة تحتاج الى تحليل خاص . وثانيا لان الجمهور لايمكنه أن يكون كله من القادة ، وانما نقصد الى تحليل الشخصية كما هى فى أشكالها المتواضعة : فى الرجل والمرأة والشاب والفتاة، فى المتجر والمصنع والمكتب . فان لكل هؤلاء مع تواضع المكانة التى يملأونها شخصيات مختلفة نتأثر بها كراهة أو حبا او احتراما أو احتقارا

وعظيم جدا أن يكون لكل منا غاية عظمى نقصد اليها ونرصد لها حياتنا . وليس أحد ينكر أن مثل هذه الغاية تكبر شخصيتنا وتزيد سعادتنا ولكن مثل هذا القصد سيبقى امنية بعيدة عن جماهير الشعب ولذلك نحن نبغى هنا من كلمة الشخصية ماينتظر أن نراه فى الرجل والمرأة العاديين اللذين لايجديهما أن نضرب لهما المثل بنابليون أو غاندى أو الاسكندر المقدونى ـ

بنه .

* * *

الشخصية كلمة نسمع عنها كثيرا ولكننا نعجز عن تعريفها . فنحن نشير الى أحد الناس بانه

« ضعيف ليس له شخصية » ولكننا نكاد لانعرف ماذا يراد بهذا الكلام سوى أن هذا الشخص ضعف شخصيته لن يستطيع أن يخدمنا أو حتى يخدم نفسه اذ ليس له التأثير المطلوب فى اقناع الآخرين

ولكن هذا الكلام على عمومه وايجازه يدل على مانقصد من معنى الشخصية : فانها مجموعة الصفات التى يمتاز بها شخص ما فى معاملة الاشخاص بحيث يؤثر فيهم تأثيرا يؤدى الى نجاحه سواء فى صناعته أم فى حرفته أم فى علاقاته مع الافراد. ولكن التعاريف لاتؤدى ماتؤديه الامثال ولذلك سنضرب امثالا تدل على قوة الشخصية أو ضعفها او انعدامها . فى البيت مثلا نجد أن الطفل الذى تركت له حرية الحركة واللعب يمتاز بشخصية لانراها فى الطفل المقيد الذى رسمت له أمه أو مربيته طريق السلوك . فالأول يقظ متطلع له اراء مستقلة والثانى خاضع ينتظر الرأى من أمه أو مربيته . ومن هنا نرى البذرة الاولى للشخصية فى المستقبل

ولكن يجب الا نخدع أنفسنا بان الشخصية تتكون من الحرية المطلقة فانها أيضا تحتاج الى قيود ولكنها قيود يطلبها الواجب الذى يفرضه الشخص على نفسه . وهذا نراه فى المقارنة بين شخصين احدهما يعامل الناس « بلا تكليف » فيهمل إيماءات الاحترام فى الحديث والمرافقة . والضيافة والاجتماع. والثانى يكلف نفسه هذه الايماءات. فانا نشعر بان الثانى شخصية ليست للاول . فان الاول لايبالى « تكليفا » اذا حادثته قطع علينا الحديث « بلا تكليف » ورفع صوته او تركنا قبل الوصول الى نتيجة وهو يسير على هذه المعاملة مع رؤسائه ومع أفراد أسرته بل مع خطيبته وأفراد اسرتها ومع زبائنه اذا تاجر . واهماله « للتكليف » يجعله سريعا فى الخصام أو الخلاف ولكنه بطىء جدا فى المصالحة سريع فى انتقاد الناس ولكنه يغضب اذا انتقده آخرون

فى الجهة الواحدة رأينا أن الطفل الحر أكبر شخصية من الطفل المقيد . ولكنا رأينا أيضا أن الشاب المطلق أقل شخصية من الشاب الذى يقيد نفسه بالتكاليف . وليس هنا تناقض . فان الشاب الذى يراعى التكاليف انما يراعيها بارادة نفسه كنتيجة للمعاملة بينه وبين الناس . وهو قد وصل اليها برأيه بعد أن استنتج من المعاملات المختلفة ان مراعاة هذه التكاليف تعود عليه بالسرور والفائدة . والهيئة الاجتماعية لاتقيدنا كما تقيد الام او المربية ابنهما بأوامر ونواه تعوق نمو شخصيته

« * »

وهنا يجب أن نزيل شبهة وهى أن الثقافة تزيد الشخصية قوة . فان العكس احيانا هو الاقرب

فى الصواب . وذلك ان الرجل المثقف يعتاد الانفراد بالكتاب . ويتلبس بطباع انفرادية . ولكن الشخصية تتكون بالاجتماع وتتلبس بعادات اجتماعية فالرجل الذى يقضى معظم وقته فى مكتبه وعيناه على كتابه قد يتعمق فى درس الفلسفة او التاريخ او الكيمياء أو الفيزياء . ولكنه يعود اسوأ الناس فى معاملة الناس من حيث التأثير فيهم واقناعهم بما يريده . فانه عندما يتحمس لنظرية يتكلم كالاطفال ويقطع الحديث هنا وهناك ، وما يعزى من السذاجة الى العلماء انما يقصد به جهلهم لاحوال المعاملة

وليس الكتاب مجال الشخصية . وانما مجالها المكتب مع الاقران أو المتجر بين الزبائن أو البيت بين الاسرة . لان الشخصية مجموعة صفات اجتماعية تنشأ من معاملة الناس ويقصد من تقويتها النجاح فى هذه المعاملة

ويمكننا أن نقارن بين شابين احدهما قضى عمره فى المدارس وقد حصل على البكلوريا والآخر لم يحصل الا على الشهادة الابتدائية . ولكنه بدلا من أن يقصد الى المدارس الثانوية قد التحق بعمل فى وظيفة حكومية أو تجارية . فاننا نجد الاول شابا خاما ليست له شخصية فى حين أن الثانى ـ لانه قضى نحو اربع سنوات فى معاملة الناس ـ يعرف كيف يؤثر فينا . فهو يحادثنا فى نظام بلا حماسة وهو اذا خاصم احدا دبر الطريق لمصالحته . وهو اذا تحدث الى الزبون عرف كيف يعالجه بنية الوصول الى صفقة مفيدة . وكل هذه صفات اجتماعية لا نحصل من المدرسة الا على القليل منها . ولكننا نحصل عليها كلها من الدنيا من معاملة الناس . ولذلك يجب الا ينخدع أحد ويعتقد أن الشخصية تحتاج الى ثقافة ودرس لان ارجح الظن ان الثقافة والدرس يؤخران احيانا نمو الشخصية لانهما يعودان الشخص الانفراد وكراهة الاجتماع

* * *

وأظن أننا إلى هنا قد كونا فكرة عامة عن الشخصية فلننظر فى العوامل التى تقويها أو تضعفها

وأول ذلك بالطبع البيت ففى البيت تتكون البذرة الاولى للشخصية السيئة أو الحسنة . فاذا كان البيت مهدا حرا للاولاد يرأسه ابوان يتجنبان التذليل والاضطهاد معا ويسيران فى انصاف ونزاهة مع الاولاد فان هؤلاء ينشأون احرارا ينظرون الى الدنيا نظرتهم الى هذا البيت أى نظرة الحب والاحترام . وتتكون لهم تلك الشخصية التى نمت فى جو من النظام والاخلاق الحسنة

وقد قلنا ان الشخصية تتكون من الاجتماع أو من هذه التكاليف التى يطلبها الاجتماع . ولذلك يجب أن نجعل أولادنا يعتادون هذه التكاليف فى غير مشقة ولا اعنات . فالصبى أو الصبية يجب أن يواجه الضيف ويؤدى له بعض الخدمات . ويجب أن يأكل فى مواعيد الوجبات المنتظمة حتى يعرف كيف يعالج جوعه ويضبطه إلى ميعاد الوجبة

فان فى ضبطه لجوعه ضبطا لشهواته فى حالات أخرى واعتياداً للمراقبة النفسية . ويجب أن ينال نفقته بالشهر بل من الحسن أن يكون له دفتر فى صندوق التوفير حتى يعتاد المسئولية المالية والتمييز بين الايراد والمصروف كما انه يجب أن يكلف الصبيان واجبات منزلية سواء فى شراء الحاجات أم تنظيف الغرف أم الطبخ أم الخياطة فان هذا التكليف يجعل الصبي أو الصبية مسئولة كأنهما عضو عامل فى الأسرة . ويعود البيت بهذه التكاليف كأنه هيئة اجتماعية مصغرة يشعر أعضاؤه كأن عليهم واجبات . فلا يتأففوا من مثل هذه الواجبات عند ما يخرجون إلى العالم ويحترفون بعض الحرف . ثم تشجيعهم على لقاء الضيوف وايناسهم يعودهم الايناس والملاطفة مع سائر الناس

وأسوأ مكان لتربية الشخصية هو البيت الفوضوى . أعنى ذلك البيت الذى يأكل فيه الصبيان وينامون بلا مواعيد والذى يفعلون فيه ما يفعلون بلا تكليف فلا يرحبون بضيف ولا يبالون نظافة الغرفة أو ترتيب أثاثها . بل ربما يجيزون لأنفسهم أن يأكلوا فى غرفة النوم ولا يعرفون أى واجب منزلى يقومون به « لأن هذا من شأن الخدم » فان مثل هؤلاء الأولاد ينشأون بلا شخصية . لكل منهم نفس غير منظمة لا يحسنون اللقاء ولا التعارف ولا أداء الواجب ولا الهندام . إذا حادثتهم قطعوا علينا الحديث وإذا حدثوا ناضحكوا من فكاهة يروونها قبل أن نضحك . يسرعون إلى المخاصمة ويبطئون فى المصالحة يعرفون الثبات على العناد ويجهلون المصالحة للتسوية

* * *

وأسوأ ما فى البيت ان المرأة المصرية ليس لها شخصية والواقع ان البيت هو أسوأ مكان سواء فى الشرق أم فى الغرب — لتربية الشخصية فى المرأة . فقد سبق ان قلنا ان الرجل المثقف قد يكون ضعيف الشخصية لأن اكبابه على الدرس يجعله ينفرد كثيرا ويعتزل الناس الى مكتبته أو الى معمله ولما كانت الشخصية تتكون بالاجتماع ومعاملة الناس فان هذه الناحية الاجتماعية تضعف فيه . ومثل هذا يقال أيضا عن المرأة فى المنزل اذ كيف يمكنها أن تربى شخصيتها فى المطبخ ؟ والاجتماع فى منازلنا قليل أقل جدا مما يجري فى المنازل الأوربية . ولذلك فان المرأة الأوربية تستطيع أن تحقق شيئا من الشخصية حتى عند مالا تحترف حرفة حرة بما تمارسه من الضيوف الذين يختلفون الى منزلها وبما تقوم به بعضها من المعاملات التى نصون نساءنا عنها احيانا

ولكننا مع كل ذلك يجب أن نقول ان البيت ليس المكان الحسن لتربية شخصية المرأة . وليس فى هذا مايسيء الى البيت كما انه ليس فى قولنا ان الاكباب على الدرس والانفراد فى المكتبة ينقصان الشخصية مايسيء الى الدرس . فاننا لانستطيع أن نجمع الميزات كلها فى الشخصية . ونحن

أن الرجال انما نكسب القوة فى شخصيتنا بالحرفة التى نحترف والتى تجبرنا على معاملة الناس والاجتماع بينهم فى شئون مختلفة . والمرأة كذلك تتكون لها شخصية قوية حين تحترف حرفة حرة

* * *

هل يمكن المدرسة أن تكون الشخصية ؟

لقد قيل كثيرا ان شخصية المدرس تؤثر فى التلاميذ وهـذا حق . كما ان شخصية أى انسان منا تؤثر فيمن حوله تأثيرا حسنا أم سيئا . بل يزيد التأثير من المعلم فى التلاميذ من حيث أن كل تلميذ ينظر اليه نظرة كبار تدعو الى المحاكاة بقوة الايحاء . فالمدرس يوحى بهندامه ونغمة صوته واشاراته ومواظبته وتدقيقه فى كل هذه الصفات فى تلاميذه . فاذا كانت نفسه غير منظمة يغير المواد بلا سبب ويتأخر عن المواعيد وليس بينه وبين التلاميذ « تكليف » أوحى أيضا هـذه الصفات السيئة الى تلاميذه

وقوة الايحاء فى تكوين الشخصية كبيرة جدا فى المعلم والأبوين والأصدقاء والأشقاء والزملاء بل نحن نعرف احيانا حرفة الرجل باخلاقه واشاراته التى اكتسبها من زملائه . ولذلك ينتفع التلميذ بشخصية المدرس للايحاء الذى يبعث المحاكاة . كما ينتفع أو يستضر من هـذا الايحاء نفسه من معاشرة ومزاملة سائر التلاميذ

وبعد هذا نجد أن المباريات الرياضية تكوّن جزءا كبيراً من الشخصية . فان الجماعة فى المباراة الرياضية تكلف نفسها واجبات جماعية وفردية تجعل كل شخص مسئولا أمام نفسه وأمام الجماعة . فيتعلم اليقظة والمواظبة والجد والتعاون وحصر الذهن وتوجيه القوة . وهو يتعلمها فى مرور وقت اللعب . فلا تبرحه وقت العمل فى المكتب أو الدكان أو المصنع لأنهـا انغرست فى شخصيته ومن هنا الفائدة فى تأليف الجمعيات فى المدرسة لأن تنظيم الجمعية يستخلص من كل فرد صفات لايستخلصها الدرس فى الكتب . كما أن المدرسة التى تجمع بين الذكور والاناث فى بعض الفترات من أعمارهم تزيد شخصياتهم أكثر من المدرسة التى تقصر التعليم على أحد الجنسين . لأن الشخصية كما قلنا تنشأ بالمعاملة الاجتماعية وبترقيـة الغرائز الاجتماعية . فالشاب أو حتى الصبى الذى يعامل الجنسين فى المدرسة يجب أن تكون شخصيته أكبر وأرقى من الشاب أو الصبى الذى لا يعامل سوى جنس واحد

لقد سبق أن أشرت الى أن الحرفة تكون الشخصية وهنا يجب أن نذكر أن الطالب فى إحدى الجامعات الامريكية يعيش عيشة مزدوجة . لأنه يتعلم فى الجامعة من جهة ويعمل فى إحـدى الحرف الحرة لـكى يكسب . وهذه الحرفة تكسبه شخصية قوية كما أن الدرس يكسبه ثقافة واسعة وحبذا الجمع بين الاثنين لو كان مستطاعا

أعرف صديقاً أمريكيا سافر الى الولايات المتحدة قريبا لرؤية زوجته وأولاده فلما سألته عنهم قال لى انه لم ير أولاده الكبار لأنه هو قصد مع زوجته وأولاده الصغار الى مصيف فى الشمال ، أما ولداه الآخران فلم يستطيعا ترك عملهما ليلحقا به فى المصيف . ذلك أن كلا منهما يخدم فى متجر زيادة الى التعلم فى الجامعة . وهما بهذه الخدمة يكونان شخصيتهما ويعرفان الدنيا التى لا يمكن أن تعرف على الوجه الصحيح من الكتب والمحاضرات

* * *

عند ما ننظر فى الظروف المحيطة بالشاب أو بالفتاة المصرية نجد أن كثيراً من هذه الظروف يحول دون تكوين الشخصية أو ينقصها عما كان يمكن أن تبلغه لو كانت هذه الظروف مختلفة

فمن الجهة الواحدة نجد أن البيت هو الوسط الكلى الذى تعيش فيه المرأة المصرية . وهو أسوأ الأمكنة لتربية الشخصية . وقليل من المقارنة بين سيدة مصرية قد احترفت التعليم وأخرى فى سنها ومكانتها قد اقتصر عملها على أن تكون ربة بيت يبين لنا الفرق بين الشخصيتين . ومن هذه الناحية نقول ان الفتاة المصرية بيتية اكثر من الفتاة الاوربية وهى لهذا السبب نفسه أقل شخصية وليس هذا طعنا فى البيت لأننا كما سبق أن قلنا لا يمكننا تحقيق جميع الميزات لأننا نشترى بعضها بثمن بعض آخر منها

وانعدام التعليم المزدوج ـ الفتى أو الفتاة ـ فى بيئاتنا المدرسية ينقص الشخصية لأنه يجعل الفتى المصري ينشأ وهو يجهل معاملة الفتاة اذ هو قد عاش طول عمره بين أقرانه من الصبيان أو الشبان فلا يعرف كيف يجامل الفتاة . ثم هو عند ما يخرج الى ميدان العمل لا يجد ذلك الاختلاط بالجنس الآخر الذي يجده الشاب الاوربى فيبرز النقص فى شخصيته بروزاً كبيرا . كما يتضح هذا عند لقائه لاحدى السيدات أو الآنسات وحين يشعر أنه مطالب بمجاملتها . وهذا اللقاء هو محكنا جميعا فاننا نضطرب ونرتبك فيه سواء أكنا رجالا أم نساء وشخصيتنا فيه على أحطها

والشاب والفتاة الاوربيان اللذان مارس كل منهما الرقص فى حفلات عامة قد نمت عند كل منهما شخصيته أو على الاقل الشخصية الجنسية . وهما يسلكان فى لباقة ورشاقة لا نبلغهما نحن فى بعض المواقف الخاصة . وأعود فأقول ان هذا ليس اطراء للرقص ولكنه تقرير لقيمته من ناحية الشخصية فقط

ثم هذه الشخصية نفسها لا تعوزنا فى الزواج لأن نجاح الزواج يتوقف الى مدى بعيد على ادراك الرجل للمجاملات التى تطلبها المرأة . وعلى ادراك المرأة للمجاملات التى يطلبها الرجل . وما هذه المجاملات سوى عادات قد اكتسبت بالمرانة من الاختلاط بين الشبان والفتيات سواء فى المدرسة أم فى المعاملات أم الرفقة أم الرقص

ان مما لاشك فيه أن بعض الخيبة فى الزواج ينشأ من نقص الشخصية سواء فى المرأة أم فى الرجل

* * *

خلاصة ماتقدم تثبت أن الشخصية تتكون بالاجتماع واننا نزداد شخصية بمقدار اختلاطنا بأوساط مختلفة من هذا الاجتماع لأننا نتعلم طرقا ومعاملات ونكتسب اختبارات فى تناول الأشياء ومعالجتها تجعلنا نختار اليقها للنجاح والتأثير فى الغير . ومن هـذه الناحية نستطيع أن نقول ان تأليف الجميات المنظمة يـكبر الشخصية

ولننظر مثلا فى جمعية الشبان المسيحية . وأنا أذكرها لأنى أعرفها . فهنا نجد نظما مختلفة للالعاب ولجانا مختلفة تدير العمل أو تشرف عليه . وأعضاؤها هم أعضاء الجمعية . كما نجد قسما للصبيان قد انتظمت له لجان أخرى

وما هى اللجنة ؟ هى جماعة منظمة لدرس موضوع أو القيام بعمل مشترك قد يكون رحلة الى القناطر أو تمثيل درامة أو استقبال ضيوف . ففى هذه اللجان نجد جماعة من الشبان قد اشتركوا وهم خاضعون لنظام فى المناقشة . وعليهم الوصول الى نتيجة قد طلب اليهم المحافظة على الميعاد والنظر السابق لموضوع الدرس والحديث المهذب . وهذه الأخلاق (أو العادات) تؤلف الشخصية وتؤدى الى النجاح . لأن كل عضو قد اكتسب بهذا الاجتماع خبرة فى المعاملات وطريقة فى المجاملات ينتفع بها فى تجاربه الاجتماعية أو وظيفته أو حتى فى بيته مع زوجته وأولاده أو مع اخوته وأبويه . لأن الرجل فى بيته يؤلف لجنة ومن الحسن أن تكون لجنة منظمة

واذا كنت أنتقد شيئا على هذه الجمعية فهو تقصيرها فى عقد حفلات للاوانس والشبان كما تفعل جمعية الشبان فى الاسكندرية . فان هذه الحفلات قد تعلمنا كيف نعامل بعضنا بعضا فى مجاملة وملاطفة بلا ارتباك وبلا ارتعاش . ونحن نعلم الشاب المصرى شيئا كثيراً ونـكبر شخصيته حين نعلمه كيف يقـدم فنجان الشاي لآنسة مصرية فى لباقة ورشاقة وبالفاظ الجاملة والملاطفة . فانه سينتفع بهذا المرقف عند مايخطب فتاة أو حتى حين يقدم على طلب وظيفة كما ستنتفع الفتاة أيضا . بل ان الاحترام المتبادل بين الجنسين يزداد

* * *

خـلاصة القول أن الشخصية تتكون من عادات اجتماعية مهذبة تجعل الشاب أو الفتاة يجابهان لمواقف الاجتماعية مجابهة تؤدى الى النجاح والتأثير الحسن فى الأشخاص الذين نقابلهم . وهى أى الشخصية تنعدم بانعـدام الاجتماع وتنقص بقلته وتزداد بكثرته . ونعنى اجتماعا منظما يطالبنا بالمسئوليات ويجعلنا نحاسب أنفسنا ونربيها بالألفاظ المهذبة والايماءة الرشيقة والهنـدام الحسن . ووراء كل ذلك لانقول عقل فهيم بل قلب فهيم يدرك عند اللقاء كما لو كان بالبصيرة السلوك الواجب فى الموقف المعين

تطور الوطنية

وقيمتها الاخلاقية في العصر الحديث

لسلامه موسى

اذا تأملنا لفظتى العرب والعجم شعرنا منهما بهذا الاحساس التفيضلى للوطنية . فان لفظة « العرب » قد اشتقت أوقد اشتق منها الاعراب أى الافصاح والكلام . في حين أن لفظة « العجم » أى الاجانب قد اشتقت أو اشتق منها العجمة أي الخرس ومنها الحيوان الأعجم الذى لاينطق . وفى كل أمة تقريبا تجد من الالفاظ ما يقابل هاتين اللفظتين . فان غير الرومان كانوا « برابرة » . والى الآن تعنى لفظة دويتش (الالمان) الناس . وكأن غير الألمان ليسوا من الناس

بل أن الأديان القديمة كانت آلهتها وطنية ولم تكن عالمية . فان آلهة مصر (قبل اخناتون) كانت مصرية صميمة . ولذلك فان الدين والوطنية يتحدان . أما الآن فالحال غير ذلك . لأن الدين — كالاسلام اوالمسيحية — يدعو الى الأخاء البشرى فى العالم كله وإلا يفضل عربى على عجمى . وأن جميع البشر سواء أمام الله . ولكن هذا السمو فى الأخلاق يناقض الوطنية التى تقوم بكل صراحة على ايثار الوطن المعين على سائر الأقطار الأجنبية . وقد رفض اليهود التسليم بهذا التناقض فان وطنيتهم تطابق ديانتهم ولا تناقضها . ولذلك لايمكن أحداً منا — المسيحى أو المسلم — أن يعتنق اليهودية إذ لسنا يهوداً بالدم

* * *

ونحن لنا — مسلمين ومسيحيين — نظام مزدوج للاخلاق . فكل منا مطالب من ناحية الدين أن يقول بالأخلاق العالمية وأن ربنا لايحابى وطنا على آخر وأننا جميعا سواء أمامه . ولكن كلا منا مطالب أيضا من ناحية الوطن أن يقول بالقومية وبأيثار بلاده على أى بلاد أخرى . وهذا النظام المزدوج للاخلاق كثيرا ما يبعث القلق فى النفس . لأن الضمير عندئذ يحدثنا بلغتين لغة الدين ولغة الوطن فينقسم على نفسه

وكما يحدث للمريض النفسى حين يقوم فى نفسه صراع بين ارادتين متناقضتين كذلك يحدث للوطنى المتدين مثل هذا الصراع . ففى بدء دخول المسيحية فى أوروبا كان المسيحى الجديد يقف

مترددا بين أن يكون رومانيا وطنيا يعبد الامبراطور ويقاتل من اجل رومه أم يعود مسيحيا لايعبد غير الله ويرفض القتال ٠ وقد حدث مثل ذلك بين المسيحيين الجدد في اليابان . بل لقد رأينا هذا الصراع في الحرب الكبرى حين رفض بعض الانجليز أن يتجندوا بحجة أن المسيحية تطالبهم بالايقاتلوا . وقد أطلق عليهم أسم Consciencious Objectors أي المعارضين بحكم الضمير . فهؤلاء قد قام في نفوسهم صراع : أيهما أحرى بالولاء الدين أم الوطن وأيهما أولى بالتضحية ؟

* * *

ان القلق النفسي الذي ينشأ من هذا الصراع يتضح عند ما ننظر الى سلوكنا ٠ فاننا من حيث النظرية نقول بالولاء للدين . ولكنا من حيث العمل نحمل السلاح وندافع عن الوطن . ولا نكاد نعرف رجلا يجرؤ على أن يقول ان الوطن فوق الدين . فان كانط يقول : « لاتعامل انسانا كأنه وسيلة لأن كل انسان هو غاية في نفسه » وهذا هو النظر الديني . ولكنا نجد رجلا ألمانيا آخر يكاد يكون الوحيد في دفاعه عن النظر الوطني هو هيجل . فانه يقول بإيثار الاخلاق الوطنية على الاخلاق الدينية . فليس الانسان عنده غاية بل وسيلة لخدمة الدولة . وأن الدولة هي الغاية التي يعيش من أجلها الناس . فنحن أبرار أم خطاة بمقدار خضوعنا أو عصياننا للدولة ، فالانسان هنا وسيلة أي عكس ما يقول به كانط

وهذا الصراع قائم في نفس كل شخص منا . وكما أن المريض النفسي يحتاج الى التحليل لكي يعرف حقيقة موقفه ويتجه الاتجاه الذي يبني بدلا من أن يهدم شخصيته كذلك يجب علينا أن نعرف حقيقة موقفنا من هذا الصراع وأن نقدر للنظر الديني أي العالمي قيمته وللنظر الوطني أي القومي قيمته

* * *

لماذا أتكلم الآن من الدين والولاء له وهل كلامنا هنا أقحام للدين في غير موضعه أو أن التطور في الشعور الوطني يحتاج الى الكلام عن الولاء للدين ؟

لقد أشرنا الى الاختلاف بين الاخلاق التي يدعو اليها الدين وبين الاخلاق التي تدعو اليها الوطنية . ولكن ليس هذا الاختلاف هو كل ما يقال . ففي بعض الأمم يسيطر الدين وفي بعض آخر تسيطر الوطنية . فلا يكاد يكون هناك صراع بين عاطفتين أو بكلمة أخرى لايكاد يكون هناك في ضمير الفرد نظام مزدوج مرتبك للاخلاق . فلنلق نظرة سريعة على هذه الأمم

١ — حيث تسيطر الوطنية — ونكاد نقول الوطنية فقط — نجد نشاطا عنيفا في الأمة كما هو الحال في الآن في ألمانيا . بل هذا النشاط يوهم بمقاومة الدين أو أن هذه الوطنية لحدتها ونشاطها

تحاول أن تجعل الدين مندمجا فيها مغمورا . وقد تخطىء فهم روزنبرج ولود وتدورف لأننا نجهل اللغة الالمانية ولأن الدعايات الاوربية المتناقضة تجعل منهما عدوين للمسيحية . ولكن مما لاشك فيه أنهما يريدان أن يجعلا الوطنية فوق الدين وانهما مسوقان بقوة الوطنية الالمانية فهما يجريان فى تيارها ولا يوجهان هذا التيار

٢ — وقد نخطىء أيضا فهم تركيا الحديثة ولكننا نظن أنه من المكابرة أو التعنت أن نقول ان الدين الآن فى النهضة الحديثة تلك القوة التى كانت له أيام السلاطين . فان الوطنية الآن هى مفتاح الأخلاق والمبيد الذي يبعث النشاط فى الأمة بل هو عقلها الباطن الذى يهيء لها مشروعات التجديد . أما الدين فقد أفلتت منه هذه السيطرة

٣ — لهذه الوطنية الحادة مثال آخر فى اليابان . بل هذه الوطنية اليابانية تجعل الأمبراطور معبودا . والامبراطور هو محور الدولة أو شعارها أو تاجها . فتأليهه هو تأليه الوطنيه

٤ — فى هذه الدول الثلاث تسيطر الوطنية سيطرة تامة . وفى هذه الدول الثلاث نشاط وطنى هائج لايعرف الركود ولا يقنع بالقليل . ولست هنا أطري هذه النزعة الوطنية . بل فقط قرر الواقع وهو أن سيادة الروح الوطنى تحرك الأمة الى النشاط الذهنى والجسمى والأخلاق وتحض على القوة واجتناء الثروة ومكافحة الفقر والتجديد المتواصل فى شئون المعيش . وفى هذه الدول الثلاث لانجد نظاما مزدوجا للاخلاق أو صراعا بين الدين والوطنية . بل نجد الوطنية فقط

فلننظر الآن فى الأمم التى يسيطر فيها الدين أو حيث يكون الوجدان الدينى قويا جداً والوجدان الوطنى معدوما

١ — فان الصين تجاور اليابان وهى أكبر منها أربع أو خمس مرات . وجمهور الأمة لايكاد يعرف القومية أو الوطنية الصينية . بل لم يكن للصين راية تمثلها بين الأمم الى وقت قريب . وكانت الثقافة الصينية التقليدية ثقافة الدين بدرس بوذاوكونفوشيوس. وكانت الأخلاق الدينية تسود الأمة . والصينى لهذا السبب رجل مسالم موادع يكره الحرب ويقتنع بالقليل . ولكن هذه الأخلاق التى تمد سامية جلية قد جرت وراءها ركود الأمة وجمودها والتزامها الأعمى للتقاليد وكراهة البدعة - هذه البدعة التى لايمكن رقى بدونها . بل لم لانقول أن المسالمة أو الموادعة التى دعا اليها بوذا قد انتهت الى هذا النوم الذى يجلبه الأفيون . أليست لذة هذا النوم قريبة من الرزانة التى دعا اليها بوذا ؟

هنا أمتان ليس الفرق كبيرا بينهما من حيث الدم والسلالة . اتجهت احداهما وجهة وطنية حادة وعبدت الوطن فى شخص امبراطورها . وهى اليابان . وأخرى اتجهت وجهة دينية حادة وعبدت السلام وهى الصين . والفرق واضح بين الاثنتين

٢ — امة اخرى قد غمرها فى الروح الدينى الهند . بل اكاد اقول قد نكبها الروح الدينى . وهى الان لا ترقى الا بمقدار ما تترك من تقاليدها الدينية . وهذا الجهاد الذى يجاهده غاندى للمساواة بين المنبوذين وبين غيرهم من الهندوكيين ماهو مغزاه ؟ أليس هو مكافحة التقاليد الدينية من أجل الوحدة الوطنية ؟ لقد بلغ من يأس تاجورى أن يقول أنه يود لو يرى موجة من الالحاد تعم الهند حتى تخفف هذه السيطرة الدينية على الناس بتطهير الدين من الخرافات العالقة به

٣ — يسمى المؤرخون الاوربيون فترة الزمن التى تقع بين سنة ٤٠٠ وسنة ١٠٠٠ بالقرون المظلمة اى زمن الظلام والجهل والخرافات والسحر . وهذا الزمن نفسه هو زمن السيطرة الدينية حين كانت القوميات مندغمة فى الدين . فكان سلام . وكان ركود . ثم جاءت النهضة فظهرت القوميات وعينت الاوطان ، فكان القتال وكان النشاط . واوربا الآن هى مخزن البارود . ولكنها ايضا ميدان التنازع الثقافى والذهنى والاخلاقى . هى ضد القرون الوسطى ومفتاح النشاط فيها هو الوطنية وليس الدين

* * *

ان فى هذا الكلام ما يؤلم بل ما يحزن . فاننا نحب ان نجد فى الاخلاق السامية التى يدعو اليها الدين فى الاخاء البشرى ، فى السلام العام ، فى المساواة بين كافة الامم مهما اختلفت الالوان واللغات يجب ان نجد فى هذه الاخلاق أساسا تعتمد عليه فى الرقى البشرى . ولكننا للاسف لا نجده . ولكن هل يجب ان ننزل على الواقع وننهزم أمام المثل الاعلى الذى رسمه لنا الانبياء والفلاسفة ونقنع بالوطنية ونعتذر عن التقصير بأن الطبيعة البشرية لا تستطيع أن تسمو الى مارسمه لها الانبياء ؟

كلا . فان التاريخ الماضى . بل التاريخ الحاضر ليس حجة على المستقبل . والطبيعة البشرية نفسها تقبل التغير . وهذا الولاء للاديان — ولو كان ضعيفا — هو نفسه البرهان على اننا نتجاوز الاخلاق الوطنية ونطلب الاخلاق العالمية . ولكننا نحتاج الى تربية جديدة . هذه التربية التى يطلبها منا ه . ج . ولز وأمثاله من دعاة الحكومة العالمية والسلام العام

أن الوطنية الان هى مفتاح النشاط لاننا نشأنا على ذلك . ونحن فى طور من الرقى البشري يقتضى ان تكون الوطنية كذلك . ولكن هذا الطور سوف ينقضى حين يحتم اتصال الامم او اشتباكها عليها ان تنظم نفسها فى دولة واحدة . وعندئذ تأخذ الاخلاق الدينية — العالمية — المكانة التى تستحقها

وهذه الاخلاق اذا كانت لا تزال الى الان املا فانه أمل عظيم يجب أن يبقى نصب اعيننا وأن يخفف من حدة وطنيتنا

لقد مضى زمن كانت القومية أو الوطنية هي الانتماء للقبيلة . ثم ذابت القبيلة فى الوطن . والدعوة العالمية التى يدعو اليها ولز واتباعه الان تقوم على أساس ايجابى وهو الاشتباك الاقتصادى . وأساس سلبى وهو الخطر العظيم من الحروب . ولا بد من ان تنتصر هذه العالمية يوما ما . وفى انتصارها انتصار الاخلاق الدينية مع توقى الاضرار التى رأيناها فى مثل الهند او الصين

• • •

الواقع الذى لا يمكن انكاره انا فى طور الوطنية المتطرفة مع الامل الضعيف بالعالمية . وضعف هذا الأمل واضح فى المانيا وتركيا وايطاليا واليابان . فما هى السمات التى تتسم بها هذه الوطنية ؟

١ — لقد ظهر فى كل من المانيا وتركيا دعوة الى نقاوة الدم . فالمانيا تقيم وطنيتها على الدم الآرى بل أحيانا الدم النوردى . وتركيا تقول بالدم الطورانى . فكأن الوطنية ليست نتيجة الحدود الجغرافية التى يعيش فيها الأتراك أو الالمان بل نتيجة الدم التركى أو الدم الألمانى

٢ — كل من المانيا وتركيا تقول بانها الأصل لحضارة العالم كأن العزة القومية تقتضى تاريخا يؤيدها قبل آلاف السنين

٣ — فى كل من المانيا وتركيا وايران انسلاخ من الثقافة الاجنبية وعودة الى الثقافة الوطنية وقد تزداد هذه النزعة قوة فيكون منها احياء اللغات القديمة (ارلندا واليهود)

٤ — فى كل من ألمانيا وتركيا وإيطاليا والهند دعوة إلى الاستقلال الاقتصادي بحيث تكون الغاية أن يكفى الوطن نفسه كأن المقصود هو ألا يحتاج الى التجارة الخارجية

٥ — فى كل من ألمانيا واليابان وإيطاليا نزعة حربية شديدة وكراهة لدعوة السلام وعداوة لعصبه الأمم

٦ — فى كل من ألمانيا وتركيا حركة ضد الدين نستطيع فهمها من سياق التحليل الذى أشرنا اليه

٧ — اتخذت الوطنية والأمم الشرقية الناهضة نزوعا نحو الحضارة العصرية أو ما يسمى التغرب . هذه هى السمات التى تتسم بها الوطنية المتطرفة فى أيامنا . فيجب أن نضع هذه السمات فى احدى كفتى الميزان حين نقابل بين الأخلاق الوطنية والأخلاق الدينية فى الصين أو الهند

• • •

وعندى أن نقاوة الدم التى دعا اليها الالمان هى كسب جديد للوطنية . ولست هنا انعاها مما تجلبه من محن . فانها حركة لا تزال فى بدايتها تتحسس الطريق فى الظلام إلى غايتها . ولكن مما لا شك فيه أن الوطنية التى تقوم على السلالة أو الدم أشرف من الوطنية التى تقوم على جغرافية الأرض التى يعيش فيها الناس

ولكن ماذا نعنى بكلمة « أشرف » ؟

نعنى أن لها قيمة وسيلية أكبر من القيمة التى نجنيها بإقامة الوطنية على الجغرافية . فاذا قلنا ان اساس الوطنية هو الدم بعثنا بهذه الفكرة نشاطا وحركة ونهضة . لأنى ما دمت أطلب نقاوة الدم فانى أطلب الصحة الجسمية والعقلية للامة . فان الألمان حين قالوا أن السلالة النوردية هى أرقى السلالات نظروا إلى نتيجة هذا القول وهى تحقيق هذا الرقى بتعقيم الناقصين . ثم نظروا إلى ثقافتهم فاختصوها بالعناية أكثر من الثقافة الأجنبية . بل لقد تذكر المارشال لودندورف التاريخ القديم والدين القديم ودعا إلى احيائهما

ان نقاوة الدم هذه هى التى يتعصب لها الأمريكيون تعصبا لا هوادة فيه . فان فى الولايات المتحدة نحو ١٥ مليون زنجى لو انهم تزاوجوا مع البيض لانماح الدم بين السلالتين . وعندئذ نجد الهجنة تأخذ مكان الاصالة . وعندئذ تتدهور الثقافة الامريكية التى انجبت اديسون وفورد وميليكان وجيمس وديوى وولسون وأمثالهم ممن أصبحوا قادة للفكر البشري .

ان النوع البشري سلالات مختلفة . ولكل سلالة خصائصها التى تمتاز بها وهذه الخصائص تبقى ما دامت كل سلالة محتفظة بنقاوة دمائها . أما اذا اختلطت السلالات واندغم الاسود والابيض والاصفر والاسمر فان هذه الخصائص تساح ويعود النوع البشرى كله هجينا . والعبقرية هى غلو والغلو تأكيد للميزات التى تمتاز بها السلالة . ولكن التزاوج بين سلالتين مختلفتين يكسر حدة هذا الغلو ويحيله اعتدالا أو توسطا فلا تكون العبقرية .

والامة التى لاتبالى نقاوة الدم تخسر شيئا عظيما فى نسيج أجسامها وأعصابها كما تخسر كبريائها الوطنى وثقافتها التاريخية . لا بل هى أحيانا تكسب من الاختلاط اذا كانت تعرف نفسها انها أحط الامم وان أى اختلاط بها يرقيها لانه ليس فى الدنيا أحط منها

« * »

وشبيه بالدعوة الى الدم ولكن بعكس الفائدة المرجوة منها ذلك الاحياء أو البعث للغة القديمة المنقرضه . وهذا نراه فى الوطنية الارلندية التى أحيت اللغة القديمة . والوطنية الصهيونية التى أحيت اللغة العبرانية . ويقترب الاتراك والايرانيون من هذه النزعة حين يحذفون أو يحاولون حذف الالفاظ العربية من لغتهم

وليس شك فى الضرر العظيم الذى ينشأ من هذه النزعة . فانها مجهود يتبعثر فى خيال . كأن الامه تريد أن تعيش فى ماضيها القديم وكأن حنانها التاريخى قد استحال أملا لتحقيق الرجوع الى

هـذا الماضي . والارلندي الذي يترك اللغة الانجليزية لـكي يحيي اللغة الارلندية يحصر الثقافة الخصبة التي تمتاز بها الانجليزية ويخسر عشرات العلوم الحديثة لـكي يقصر نفسه أنه يعيش كما عاش اباؤه قبل ألف سنة . وكذلك اليهودي

بل كذلك نحن حين نعمد الى اللغة الفرعونية فنحييها لكي نتكلم ونكتب بها . بل لقد ماتت اللغة العبرانية قبل أن تموت اللغة الفرعونية . اذ من المعروف أن المسيح كان يتـكلم بالارآمية ولم يكن يعرف العبرانية الا في التوراة . وفي ذلك الزمن كانت مصر لا تزال تتكلم بلغتها المصرية القديمة

ونحن بالطبع اعقل من أن نفكر في أحياء اللغة المصرية القديمة وقصارى ما نطلبه أن نتعلمها كما نتعلم احدي اللغات القديمة

* * *

هذا التغرب أو هذا النزوع نحو الحضارة المصرية تراه على أشده في بعض الامم « الشرقية » كاليابان وتركيا وايران والصين . وهذا التغرب يأخذ بالظواهر والبواطن . فان القبعة والبنطلون يقابلها المصنع الآلي واشتغال المرأة بالعمل الحر . وحينما تشتد الوطنية يشتد أيضا هذا التغرب

وقد يبدو لنا شيء من التناقض هنا . اذ كيف يمكن تركيا أن توفق بين تعصبها للغة التركية والتاريخ التركي والدعاية الطورانية وبين هذا التغرب ؟

ولـكن هذا التغرب ليس في حقيقته انسلاخا من التاريخ أو من الثقافة الوطنية . لان الحضارة الغربية ليست سوى حضارتنا «الشرقية» قد انتهت الى مرحلتها الاخيرة التي يقتضيها منطق التطور ومن هنا هذه الظاهرة وهي ان أشد الوطنيين غلوا في هذه الامم الشرقية هم أرغبهم في التغرب

* * *

والآن أين مصر وطننا من هذا التطور في الوطنية ؟

لقد رأينا من السمات الحديثة للوطنية المتطرفة ١ — نقاوة الدم والاعتزاز بالسلالة النقية ٢ — ادعاء أصل الحضارة ٣ — احياء اللغة الوطنية القديمة ولو كانت ميتة منقرضة ٤ — الدعوة الى الاستقلال الاقتصادي ٥ — الـكراهة للدعوة العالمية التي تمثلها عصبة الامم ٦ — التوجس من الدين لانه يدعو الى أخـلاق عالمية تخالف الاخـلاق الوطنية ٧ — رغبة الامم الشرقية في نهضتها الوطنية الى التغرب

أين مصر الآن من هذه السمات ؟

هل نحن ندعو الى نقاوة الدم المصري كما يفعل الالمان ؟ وهل ندعو الى أن مصر هي الاصل لحضارة العالم ونعتز بهذه الدعوة الصحيحة التي يثبتها العلم وتكشف عنها المصرلوجية ؟ وهل نحن

تفكر فى لغتنا القديمة ان لم يكن على سبيل الاحياء فعلى الاقل للتذكر والاستئناس ؟وهل كانت دعوتنا للاستقلال الاقتصادي دعوة صادقة حية ؟ وهل نحن نتغرب بالقوة التى يقتضيها العصر؟

ان فى السمات التى تتسم بها الوطنية الحديثة بعض ما يعاب عليها. ولكن مصر يمكنها أن تنتفع بدرسها وبالاختيار منها بما يطابق بيئتها

إن مما لا شك فيه أن الغلو فى الوطنية قد يؤدي إلى خطر الحرب . بل هو قد أدى إلى ذلك فى الحبشة والصين . كما أنه قد يؤدي إلى مناهضة الدين . وقد أدى إلى ذلك بالفعل فى بعض الأقطار مثل تركيا وألمانيا . ثم هو قد يؤدى إلى احياء اللغات الميتة . وكل هذا ضرر . ولكننا مهما غلونا فى وطنيتنا فى مصر فلن نخشى شيئاً من ذلك . وكل غلو فى وطنيتنا يؤدي الى الخير ولا يخشى منه أي شر . ذلك لأن وطنيتنا جديدة والوجدان الوطنى لما يكمل . ولكننا سائرون نحو هذا الاكتمال

لقد أذاعت الصحف هذا الأسبوع معاهدة بيننا وبين تركيا هى معاهدة الشريكين المتساويين الذين يحترم كل منهما الآخر . ولكن قبل سنوات كانت تركيا سائدة ومصر مسودة . وكان الزعيم الوطنى فى مصر يدعو لوطنه بالبقاء فى ظل سلطان الأتراك . ولا يرى فى ذلك عيباً . وها أنذا أنقل هنا نبذة من المقال الافتتاحي للمرحوم مصطفى كامل فى اول عدد من جريدة اللواء يوم ٢ يناير من سنة ١٩٠٠ حيث يقول :

« وإننا نسأل الله أن يوفقنا للقيام بالواجب ويحفظ الخلافة الاسلامية صاحبها والسلطنة العثمانية سيدها جلالة مولانا السلطان ابن السلطان الغازى « عبد الحميد خان » أيده الله وادام ملكه . وأن يديم لمصر فى ظل جلالته عزيزها وأميرها »

ولم يكن مصطفى كامل إلا معبراً عن الوجدان الوطنى فى ذلك الوقت ، هذا الوجدان المضطرب اضطراب الجنين . ولكن هذا الجنين قد ولد وترعرع . ولن يضيره كثرة الغذاء لأنه فى طور النمو . فاذا كانت الوطنيات الأخرى قد تخمت بالغذاء فوطنيتنا لا تزال جائعة . فلنغل فيها ولا نخشى الغلو . وقد أصبحنا الآن نعقد المعاهدة على قدم المساواة مع تركيا فلتكن غايتنا الأخرى أن نساويها وغيرها من الأمم المتمدنة فى الرقى الاجتماعى

إن معظم الضرر الذى نشأ من الغلو فى الوطنيات الحديثة يكاد ينحصر فى فيض هذه الوطنيات إلى خارج الوطن بالرغبة فى الاستعمار والدعوة إلى الحرب . ولكننا مهما غلونا فى وطنيتنا فلن نخشى أحد منا ذلك . ووطنيتنا التى كان يقنع منها مصطفى كامل بما لا نرضاه نحن الآن . والتى وسمها لطفى السيد بالسمة المصرية وعين حدودها واستخلصها من العالم الاسلامى والعالم العثمانى معاً ،

هذه الوطنية التى وثب بها سعد ثم جاهد لها مصطفى النحاس حتى انتهت بالاعتراف بالاستقلال لمصر من الدول المحتلة وتوشك أن تنال الاعتراف من الدول الممتازة بالغاء امتيازاتهم ، هذه الوطنية تحتاج إلى الغذاء الكثير . ولكنه يجب أن يكون غذاء سليما خالياً من الغش . فان جميع الأمم التى يحلو لنا أن نسميها « شرقية » مثل اليابان والصين وإيران وتركيا قد جعلت وطنيتها قائمة على التغرب أى الأخذ بالحضارة العصرية ظواهرها وبواطنها فيجب أن يكون هذا أيضاً برنامجنا ، فاذا كان الترك قد أخذ بالقبعة فيجب أن نأخذ نحن أيضاً بها لأنها شارة الحضارة ورمزها . بل يجب أن نفعل مثلما فعلت إيران بجعل الملابس الاوربية الزامية حتى للفلاحين

إن الوطنية الناهضة منطقاً يكاد يكون واحداً فى مصر وتركيا والمانيا وفى كل أمة قد قوى فيها الوجدان الوطنى . فان الاعتزاز بالاباء والدم و (الطورانية فى تركيا والآرية فى المانيا والفرعونية فى مصر) هو شرط الوطنية الناهضة . والدعوة إلى القبعة والتغرب فى مصر وتركيا وإيران واليابان هى دعوة وطنية محضة . وقد عرفنى صديق لى انى — ولا فخر — قد دعوت إلى القبعة فى سنة ١٩١٦ بجريدة الأخبار . ومذهبنا فى الصناعات بالآلات الكبرى هو مذهب جميع هذه الأمم التى ذكرنا . والاستقلال الاقتصادى الذى ألفنا من أجله جمعية المصرى للمصرى سنة ١٩٣٠ هو الذى يعبر عنه بلفظة أو تارجى فى المانيا . وهو أيضاً لون من ألوان النهضة الوطنية . ولست أطرى نفسى بهذا الكلام ولكنى رأيت وأنا أدرس هذا الموضوع أن أحلل نفسى باعتبارى عضواً فى هذه الحركة — الحركة الوطنية — التى يعزى بعض أسبابها الى الحرب الكبرى واليقظة العامة التى أحدثتها مبادىء الرئيس ولسون

والآن وقد انتهينا من هذا التحليل الموجز للوطنيات الحديثة أعود فأقول : فلنغل فى وطنيتنا ولا نخشى شططاً فى هذا الغلو لأن وطنيتنا جائعة لم تشبع بعد

اخناتون يعلمه ديه أتونه

للآنسة ايريس حبيب المصرى

مقدمة

كان الانسان فى فجر التاريخ واقعا تحت سلطان الطبيعة المحيطة به . فراعته البروق والرعود وأذهله نزول السيل أو حدوث الزلازل كما تملكته الرهبة والخضوع أمام القوى التى تمنحه الحياة والقوة كالماء الذي يروى أرضه والشمس التى تدفئه . فصور له خياله وهو واقع تحت هذه التأثيرات أن هذه القوي التى تحييه أو تفتك به ليست سوى أرواح للخير أو للشر يمكن استرضاؤها أوتجنب شرها بتقديم القرابين لها

ولم يختلف المصريون القدماء عن غيرهم فى أنهم عبدوا قوى الطبيعه — ولكن الطبيعة فى مصر قوة مترفقة لاتكتسح الارض بالفيضان المغرق (اللهم إلا فى فترات بعيدة) ولا تبرق أو ترعد أو تزلزل — لهذا كانت أرواح الخير عند المصريين تفوق أرواح الشر

بيد أن المصريين لم يلبثوا حتى أضافوا الى عبادة الطبيعة عبادة أخرى هى مرحلة قطعوها وسبقوا غيرهم فيها : وهى عبادة المعانى المجردة كالفضيلة والحكمة والحق والعداله وغيرها

وكانوا يرمزون الى القوى التى يعبدونها بصور للانسان أو الحيوان . اذا كانت هذه الصور المادية شيئا ملموسا يستعينون به على تفهم الفكرة المعنوية غير الملموسة ويسمونها بأسماء مختلفة فالشمس هى الآله را (أو كما سميت فيما بعد أتون را)

واوز وريس وايزيس وهو رس وثوث وغيرهم من الآلهة العديدة . إلا أن مؤلف كتاب وردة (وهو المصرلوجى الالمانى المعروف جورج ابرز) يخبرنا بأن هذا التعدد للأشكال والصور والرموز لم يكن سوي وسيلة يستعملها الكهنة لتضليل الناس ولجعلهم يخضعون تحت سلطانهم دون تذمر وأن الكهنة وحدهم كانوا يعرفون حق المعرفة بأن الله واحد وبأن الصور العديدة التى يتعبد بها الشعب بارشادهم ليست سوي مظاهر لقوته التى لايمكن حدها أو تعريفها

ومهما تكن الحقيقه فان الشعب كان حتى عهد اخناتون منقادا لسلطة الكهنة يتعبد لهذا الاله أو ذاك ويتقرب من هذه الالهة أو تلك . وكان أقوي الآلهة عند اعتلاء اخناتون العرش هو أمون

— أو أمون را . وكان لكهنته نفوذ بعيد المدى ظل أثره كامنا فى النفوس مدة حكم الملك الشاب ثم عاد الى الظهور إثر موته اذ رجعت مصر الى عبادة أمون وغيره من الآلهة بعد أن سادت وراء اخناتون وتوصل بعض من أبنائها الى رؤية قبس من النور الفياض الذى جاهد اخناتون ليعلنه للملأ ولهذا السبب ظل تاريخ هذا الملك (الذى رماه كهنة امون بالكفر) طى الكتمان حتى عهد قريب اذ هجرت مدينته وتناسى قومه كل أمره . ولكنه عاد الى الظهور فى هذا العصر فى صورة جميلة وسمها لنا كتاب الغرب . ومن أجل الكتب عن هذا الملك الكاهن مؤلف ضخم كتبه عالم أثرى انجليزي هو سر آرثر ويجال المصرلوجى الكبير . واسم الكتاب : اخناتون — حياته وعصره . والكلمة التالية مأخوذة عن هذا الكتاب .

أتون الاله الحق

فى المدينة الجديدة وسط الحدائق الزاهرة المنسقة التى يملأها عبير الورود وسط القصور الشامخة المنيفة التى شيدت على عجل حول اخناتون ستدعه صوب دينه ووجه كل همه الى اعلانه . وكان اذ ذاك فى الثانية والعشرين من عمره . فمن الحق علينا أن نتعرف أهم تعاليم دينه — لانه كان أسمى دين عرفه العالم القديم — وأن نقف كيف وصل الملك الى ابراز دينه هــذا نتيجة التربية الدينية التى شب عليها وتمثلها

ولم يكن أتون فى بادىء الامر سوى قرص الشمس ولكنه صار تبعا للفكرة الجديدة هو الحرارة الكائنة فى الشمس . وحصر اخناتون اتجاهه كله فى ابراز هذه الصفة التى للاله ووجه نظر اتباعه صوب قوة بعيدة غير ملموسة بينها وبين قرص الشمس الوهاج الذى يعبدونه بون شاسع لا يحد فقد كانت فكرة اخناتون عن الله هى أنه القوة التى خلقت الشمس والنشاط الذى اخترق الحجب الى هذه الارض خلال أشعة الشمس وحرارتها فسبب نمو الكائنات جميعها . ويقول لنا العلماء فى عصرنا هذا ان الله هو منبع الحياة ومرجعها وانه — أى الله — هو التفسير الوحيد الواضح الوجود الذى يرضى العقول المفكرة حين يفشل كل تفسير آخر — أو بعبارة أخرى هو أصل القوة الموجدة المنشئة — وقد سبق اخناتون العلماء بأجيال عديدة — فعرف الله بنفس تعريفهم . وفى عصر سادت فيه الفكرة (التى لا تزال متسلطة على عقول البعض) بأن الآلهة ليسوا سوى صور مكبرة للانسان ولهم شكل مادى محدد مثله أعلن الفرعون الشاب بأن الله روح غير محدودة وأنه القوة الحية المنشئة التى تتخلل الزمن والأبعاد — أى أن فكرته عن «الاتون» كانت قريبة جدا من فكرتنا عن الله الذى نعبده ' فليس من صفة وصفه بها الفرعون لا نعزوها نحن لله . وكوميض من البرق الخاطف سطع نور آتون برهة ثم اختفى — كأنه البشير الاول لهذا العالم الدينى المستقبل ولا يسع أى انسان

مفكر منزه عن الغرض الا أن يرى شبها كبيرا بين دين اخناتون ودين المسيح ولئن كانت عقيدة الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب الأصل الذى تفرعت عنه المسيحية مباشرة – فان ايمان أخناتون كان مثالا منزلا له وكأنما الله جل جلاله أظهر ذاته لحظة لمصر فأدركته (ولو أن ادرا كها له كان قصير الأمد) على وجه أوضح وأجلى مما أدركته سوريا وفلسطين . ولم يقرب من إدرا كها قطر آخر قبل مجيء المسيح

أتون الاب الحنون لكل الخليقة

لم يكن آمون را أو غيره من آلهة مصر القديمة سوى بشر ا كتسبوا صفات عظيمة هائلة ولو أنها محدودة واتصفوا بقوى مكبرة من قوى الناس رددتها الأساطير التى كان الناس يتداولونها عنهم والتى كانت تنم عن أصلهم البشرى . ولقد كان البعض منهم تفسيرا لقوى الطبيعة – كالنيل والهواء والكواكب المديدة وغيرها . وكان الآلهة جميعا – سواء أ كانوا بشرا تألهوا أم قوى من قوى الطبيعة – شديدى البطش والانتقام إن شاءوا أن يفتكوا بالناس . وكانوا جميعا عرضة للعواطف والانفعالات النفسية البشرية . أما فى عقيدة اخناتون – ولو أن واحدا لم يسبقه إلى فكرته ويمهد له السبيل اليها – فقد كان الله هو الأب غير المدرك والحال فى الوقت نفسه فى كل البشر والذى تعبر الشمس عنه . فنادى هذا الكاهن الشاب رعيته وأهاب بهم أن يبحثوا عن الله وسط الزهر والشجر وبين الأسماك والطيور لا وسط صليل السيوف اوحومة الوغى ولا خلف الدخان المتصاعد من الذبائح البشرية . فيمكن القول بحق بانه كان أول رسول لحياة البساطة

وجاهد بكل قواه ليحطم قيود الفكر وتقاليده . وظل مدى حياته يدعو شعبه الى أن يعبدوا « بالحق » وبغير تطرف فى الطقوس . وبينما كان الآلهة الاقدمون لا يظهرون الا عند وقوع حوادث رهيبة أو اضطراب كبير كان رب اخناتون الرؤوف يبدو فى دقائق الحياة وصغائرها – إذ كان يظهر فى الزهرة النامية وفى همس النسيم العليل الذى يملأ شراع المراكب وفى السمك وهو يسبح فى النهر . فكان أتون بهجة الحياة التى تدفع بصغار الخراف الى القفز مرحة وبالطيور الى رفرفة أجنحتها . ومع أن اخناتون نفسه كان « رجل أوجاع ومختبر آلام » الا ان الرسالة التى حملها لاتباعه كانت رسالة الفرح والتفاؤل

ولم يسمح اخناتون أن يقام تمثال لأتون . لانه قال ان الاله الحق لا شكل . وتمسك بفكرته هذه مدى حياته وكان رمز دينه قرص الشمس تنبعث منه الأشعة وينتهى كل شعاع بيده – ولم يكن هذا سوى رمز لا يعبد . ولم يحدث فى تاريخ البشرية قبل هذا العصر أن خطر على بال رجل أن الاله لا شكل له وأن ليس له حواس الانسان المحس . وكان يظن الآباء اليهود بأن الله فى

مقدوره أن يتمشى فى حديقة عند الغسق وأنه خلق الانسان على صورته ومثاله وأن له وجها وجسما ولكن أخناتون وحده أوقف بيده تيار التقاليد الجارف وصرح بجرأة بأن الله معطى الحياة روح غير محدودة او هو « الحرارة الكائنة فى الشمس » . كان هو أتون الحى او هو القوة التى كونت الشمس والتى تمكن الشمس من الاحتفاظ بحرارتها ومن الحركة . ولو انه كان يطلق عليه اسم «الاتون» الا أنه كان كثيرا ما يعبر عنه بأنه « سيد الاتون» فكان مجد الشمس الملتهب خير رمز للاهوته واشعتها المدفئة المتدفقة اظهر دليل على صلة الارض بالسماء . الا ان اخناتون كان يجاهد ابداً لكى يسمو بعقول المفكرين من اتباعه فوق المظهر المدرك المادي المعبر عن الله ويدفعهم دوما الى التطلع والجهاد علهم يرون ما وراء الحجب

ومع ان الاتون بعيد جدا الا انه هو الأب الحنون الذى يحب جميع البشر وهو أبدا حاضر معهم مفكر فيهم . فلا يخرج تأوه من صدر طفل لايسمعه أتون غير المحدود ولا يصدر نداء من حمل لامه لا يصل الى أذنى أتون المتناهى فى البعد فيسرع لنجدته لانه « أب جميع الخلائق وأمها » الذى « ذات الملايين بكرمه وسخائه »

ولم يشر اخناتون بكلمة أو باشارة الى الناحية الفتاكة من الشمس ـ فحرارتها الشديدة التى تميل عرق المصريين وتأوهاتهم خلال الصيف المحرق لم توجد بينها وبين الاب الرؤوف الذي نادى به اخناتون صلة على الاطلاق. فقد كان الاتون « سيد الحب » وكان المرضعة الحنون التى « تكون الرجل الطفل من المرأة وترفق به حتى لا يبكى » يملأ حبه الارجاء حتى أنه على حد التعبير رقيق من تعبيرات اخناتون « حب يقطر على الانامل الرقيقة منه » وأشعته « جميلة بالحب » وهى تتساقط فوق الناس وفوق المدينة الجديدة التى بنيت له . ويقول اخناتون فى أحد مزاميره : « إن حبك عظيم رحب وانت تملأ أرض مصر بحبك » وفى مزمور آخر يقول : « إن أشعتك تطوف الارض . . . فأنت تربطها معا بحبك »

حقا لم يسمع من قبل فى تاريخ البشر عن رجل صور الله على هذه الصورة ونادى به « أنه هكذا أحب الله العالم » . وعبثا يبحث المرء فى تعاليم أخناتون عن أية اشارة الى قوة شريرة أو الى نقمة او حسد او بغضاء . فلقد وصفت المزامير الله فى التوراة بأنه « كما يتراءف الاب على اولاده هكذا يرحم الله » . واخناتون عبر عن هذه الفكرة عينها فيما كتب من أناشيد قبل كتابة المزامير بأجيال لان الاتون كان رؤوفا رحيما حنونا مترفقا لا يعرف الغضب ولا توجد فيه حدة ـ يصل حبه المتدفق الى هذه الحياة ويفيض على الكائنات جميعها فيغمر الانسان والحيوان والنبات . ويتغنى اخناتون بذلك فيقول فى أحد مزاميره : « كل الازهار تتفتح وكل ما ينمو على

الأرض يزدهر حين تشرق ايها الاتون فيشربون حتى يرتووا من حرائك. أمامه وجهك تفغر الماشية وتطير الطيور من اعشاشها بفرح فتفرد اجنحتها التى كانت مطبقة لتسبحنك ايها الاتن الحى »

وإنه لمن المدهش حقاً أن يقرأ المرء ضمن صحائف مصر المحبة للابهة ومظاهر العظمة عن إله يصغى « حين يصرخ الكتكوت وهو خارج من بيضته » ويعطيه الحياة اذ يسمعه « يوصوص بكل قوته » بعد الفقس، إله يجد سروراً فى أن يجعل « العصافير ترفرف بأجنحتها طائرة فوق الترع والخراف ترقص بأرجلهـا مرحا » ولأول مرة فى تاريخ البشرية يدرك الانسان معنى الله وبتفهمه كخالق سخى يحب كل واحد من خلائقه على الرغم من أنه روح بعيدة غير مادية . إذ أن هذه هى الصورة التى رسمها أخناتون الشاب عن الاله الذى قضى حياته فى عبادته ، فعبر عن رأفته وطول أناته غير المدركة بطريقة واضحة جلية لم يفقه فيهـا إنسان . والمدهش فى هذا حقا هو أن هذا الملك الشاب أخناتون لم يجد قبله أساسا يبنى عليه بل انه كان (حسب ماوصلت اليه معلوماتنا) أول رجل أظهر له الله نفسه وملك عليه فؤاده كروح كلها محبة لاحد لخيرها

خيراتون وصلاحه

فى حدائق مدينة الأفق « كان يعيش أخناتون بحيط به من كل جانب جمال الطبيعة وسحرها . ففيها كانت الطيور تغرد مرحة فوق الأغصان المثقلة بالثمار ، وفيها كان نسيم الشمال المنعش يسرى بين الأشجار فتتمايل غصونها وتتراقص أوراقها ، وفيها ازدهرت الورود والأزهار وانعكست ألوانها العديدة فوق مياه البحيرات الصافية ، وفى وسط هذا الجمال امتلأ قلب أخناتون راحة وسكينة وأحس وهو يرقب أشعة الشمس تداعب المياه والأشجار بأن قلبه يفيض شكرا لله فيردد دوما : « ما أعظم أعمالك يا إلهى — إن الأرض كلها فى مرح وراحة بسببك . وهم يترنمون وتبلغ أصواتهم عنان السماء ويتلقون منك الغبطة والفرح » فيا « أجمل شكل » أتون « الذى لاشكل له » وما أسطع سناه — « فالعيون تحيا عند مرأى جمالك والقلوب تمتلىء صحة حين تشرق أيها الأتن »

وكما تغنى كاتب المزامير اليهودية قائلا : « الرب راعى » فلا يعوزنى شىء » « كذلك هتف أخناتون بقلب راض » : لافقير لمن وجه قلبه نحوك » — « وحين تتدفق الحياة على قلوب البشر بجمالك فهنالك الحياة حقا » وبعد ذلك بأجيال وصف داود الله بأنه « صخرة حصن » . وقبل ذلك فكر أخناتون بنفس الطريقة فقال بأن أتون « سور من النحاس مقداره ملايين من الأذرع »

كذلك كان أتون فى تعاليم اخناتون هو الاله الوحيد إذ لا يذكر الملك كلمة « آلهة » مطلقا. وكانت عبارة « الأتون الحى الذى لا يوجد إله غيره » عبارة كثيرة التردد على ألسنة أخناتون

وحاشيته . كذلك يصفه قائلا : « أنت وحدك ولكن قوى حيوية لانهائية تملأك . وهي الوسيلة التي بها تعطى الحياة لمخلوقاتك »

وثمة خلاف كبير بين إله أخناتون وبين آلهة مصر أو غيرها من الأمم . وهو أنه كان « إله السلام » لا يحتمل القتال ولا يرضى بالتطاحن . وكان أخناتون نفسه يمقت فكرة الحرب حتى أنه رفض مراراً أن يبعث بالنجدة الى الولاة المصريين فى المقاطعات الآسيوية . فأتون كان إلها رقيق القلب لا يرضى سفك الدماء . وهكذا وقف أخناتون حياته على مناوأة الروح العسكرية فى عصر طغى فيه المجد الحربى ولمعت السيوف والدروع وتخطر الفرسان على ظهور خيولهم فى كل مكان .

وفوق هذا كله كان أتون يحب الحق — وكانت الصراحة والاخلاص والصدق والمعاملة الأمينة من ألزم صفاته . وليظهر أخناتون خصومته لما كان يسود البلاط من رياء ومداهنة كان يصف نفسه دائما بأنه « يحيا فى الحق » . ولشدة تمسكه بهذه الصفات الالهية كتب على قبر أحد مناصريه . «لقد وضعت الحق أمام عينى وفى داخل نفسى ومقت الكذب لأننى أعرف أن الملك يفرح بالحق»

وليذكر القارىء أن أخناتون عاش قبل المسيح بنحو ثلاثة عشر قرنا فى عصر كان فيه العالم غارقا فى بحار الخرافات والأوهام يتخبط فى دياجير الوثنية فان ذكر هذا فانه سيرى حتما فى هذه الرؤيا القديمة التى حلم بها الفرعون الشاب بالله الاب صورة تخطم لها الآن . ويتحقق له مرة أخرى صدق ما عبر عنه الشاعر تنيسون : « والله يتم مقاصده بطرق عدة » .

ادريس حبيب المصرى

الفراعنة فى روسيا

رندبل هاريس مؤرخ انجليزي يبلغ من العمر الآن نحو ٧٥ عاما . وهو أيضا فى القائلين بأن حضارة مصر القديمة تفشت فى أنحاء العالم

ولكنه يختلف من اليوت سمث وبيري وبرستد وسيجلمان فى طريقة التدليل فان أولئك متتبعون الآثار الباقية أو العادات الاجتماعية بين الامم وهى عادات أو آثار تثبت اتصالها بمصر القديمة . فيعتمد على تحليل الاسماء حتى يردها الى اسم مصرى قديم . وقبل نحو شهرين كتب مقالا نقلت خلاصته الى مصروفيه يحال لفظة أنقره عاصمة الأتراك الى أنخ رع (حياة الرب رع) ويقول انها مصرية أنشأها المصريون القدماء

ولهذا العالم نحو عشرة كتب صغيرة فى هذا الموضوع يبحث فى بعضها عن آثار مصر فى انجلترا وفى بعض آخر عن آثارها فى فرنسا أو البحر المتوسط أو افريقيا أو غير ذلك

ويبدو من أبحاثه أن أسلافنا صربوا فى أنحاء العالم فوصلوا الى روسيا والشرق الاقصى وافريقيا الجنوبية والغربية واستوطنوا جزر البحر المتوسط ودخلوا فرنسا وانجلترا

وقد تركوا فى جميع هذه الامكنة مدنا أقاموها أو صنعوا أسسها لاتزال الى الان تحمل أسماءهم أو أسماء آلهتهم . وكان الذي يدعوهم الى ترك بلادهم والرحلة الى الأقطار البعيدة شيئان احدهما يدفعهم الى الرحلة والآخر يسهل عليهم الضرب فى الآفاق .

فاما الأول فهو رغبتهم الحادة فى الحصول على المعادن والجواهر والطيوب والافاويه التى كانو يحتاجون اليها لاطالة أعمارهم على هذه الأرض أو فى العالم الآخر (بالتحنيط) ثم كانوا حين يخرجون من مصر لايجدون غير الشعوب البدائية التى لم تنتظم جماعات دولية

ولم يكونوا يجدون أى عائق فى الحل والترحال اينما شاءوا ويجب أن نلاحظ هنا أنهم لم يلقوا أمما متوحشة تعرف الحروب ولاقبائل منظمة بل لقوا جماعات بدائية لاتعرف شيئا من الصناعات ولذلك لم يجدوا أية مقاومة

وهذا الفرق العظيم بين الانسان البدائى وبين الانسان المتوحش يجب أن نؤكده هنا فالانسان البدائى لايعرف الزراعة وانما يعيش بجمع الطعام يجمعه ولا يستنتجه ، وليس له رؤساء ولا دين غير القليل جدا من العقائد ، وهو لذلك لايعرف الحرب إذ ليست له جماعات منظمة . اما الانسان المتوحش فهو الذى تساقطت اليه عادات أمة متمدنة وقد ورثت كثيرا من حضارة مصر القديمة

وقد كان العالم القديم الذي تمشى فيه المصريون بدائيا ولم يكن متوحشا ولذلك لم يلق المصريون

فيه أية صعوبة وخاصة لانهم كانوا يطلبون أشياءلايقدر البدائيون قيمة لها مثل الذهب أوالمعادن الأخرى أو الطيوب أوالجواهر

« * »

وبدهى أن المصريين عند ما كانوا يحلون فى بقعة كانوا يسمونها باسم أحد آلهتهم أو باسم الميزة التى تمتاز بها واحياناً يكون هذا الاسم واضحاً فى اشتقاقه مثل أنقره (أنخ رع) وهو اسم نجده فى آسيا الصغرى كما نجده فى افريقيا الغربية.أومثل سقطري فى افريقيا الشرقية وهوسخت رع — حقل الرب رع

ولكن بعض الأسماء المصرية القديمة قد استحالت إلى غير ما كانت عليه لأن بعض الحروف المصرية كان يشق على الأمم الأخرى التلفظ بها . فكان يحدث فيها تحريف يشبه هذا التحريف الذى نضطر اليه فى أيامنا هذه عند ما نعرب اسماً أوربياً يحتوى حروفاً لا تحتويها لغتنا

ولذلك فان المدينة التى كان يسميها أسلافنا تشاءان وجد العبرانيون فى النطق بها على أصلها صعوبة فجعلوها « زوان:صان » كما وجدالاغريق مثل هذه الصعوبة فجعلوها « تاءان : تانيس » ولم تكن المدينة وحدها تسمى بهذا الاسم بل كان الاقليم الواقع فى جنوبها يسمى أيضاً بهذا الاسم على نحو الطريقة المتبعة فى أقاليم الوجه القبلى حيث العاصمة والمديرية يتسميان باسم واحد . ومن هذا اسم زوان العبرانى لاقليم تشاءان . ثم اسم صان العربى

وبدهى اننا إذا وجدنا اسم تانيس فى روسيا أو انجلترا فانا يجب أن نجد فيه شبهة من الأصل المصري

فاذا وجدنا حوله ملابسات مصرية أخري استطعنا أن نجزم بأنه هو أيضاً اسم مصرى قد حرف لكى يوافق اللفظ اليونانى

والأدلة التاريخية كثيرة على أن المصريين القدماء قد استعمروا روسيا الجنوبية وان بحر قزوين كان فى وقت ما تجوبه السفن المصرية بين الموانى المصرية العديدة التى أنشئت على سواحله وان المصريين عرفوا بحر آزوف ونهر الدون ونهر الفولجا

وقد كان هذا النهر الاخير يسمى إلى بطليموس الجغرافى (رها : رع) وقد وضحه فى خارطة بهذا الاسم وإن كان النيل نفسه يسمى بهذا الاسم عند آبائنا .والمصرى القديم الذى عاش فى مصر ورفع نهر النيل إلى مصاف الآلهة وعرف قيمة الرى لا يسعه إلا أن يفتتن برؤية نهر مثل الفولجا وأن يسارع الى اطلاق اسم رع عليه تشبيهاً لهبالنيل

وقبل أن نترك بحر قزوين يجب أن نلتفت الى مدينة باطوم فان هذه المدينة يبدو عليها أنها

حديثة ليست لها أية صلة بعصر القديمة . ولكن تاريخ مصر ينبئنا بأن الاسرائيليين أيام كان الفراعنة يضطهدونهم بنوا مدينة بيطوم (بالقرب من التل الكبير) . ولكن هذا التشابه لا يكفى لان نقول أن باطوم الروسية هى مدينة مصرية قديمة . وانما تقوم الحجة بملابسة عجيبة هى أن بالقرب من باطوم نهر يسمى ايسيس . ثم تقوى الحجة عندما نقرأ المؤرخ هيرودوتس الذى يقول فى صراحة أن المصريين استعمروا روسيا الجنوبية

ولفظة باطوم ، بيطوم تعنى فى اللغة المصرية القديمة « مكان الحرب ، الشمس »

ويصف هيرودتس الاقليم الذى يحيط ببحر قزوين فيقول أن سكانه الكولشيين « هم فى الحقيقة مصريون . لان بشراتهم سمراء وشعورهم صوفية ثم هم يمارسون الختان .

وكذلك لا ينسج الكتان غيرهم هم والمصريون على طريقة معينة هى طريقتهم الخاصة . ثم هما يتفقان فى عادات معيشتهما وفى كلامهما»

هذا ما يقوله هيرودتس الاغريقى . ويجب أن نلحظ هذه الكلمة الأخيرة التى تدل على أن سكان روسيا الجنوبية وسكان مصر كانوا يتكلمون لغة واحدة أيام هيرودتس . ولم يكن هيرودتس مصريا ولا هو من القائلين بالدعوة الفرعونية حتى نتهمه فى روايته

ومثل هذا الكلام الذي قاله هيرودتس قد قاله أيضاً ديودور الصقلى والكاتب الذي علق على بندار ، ويقوله أبو لونيوس أيضاً

* * *

ولننتقل الى نهر الفولجا

فان المصريين عرفوا نهر الدون . ثم عرفوا نهر الفولجا أطول أنهار أوربا وأوفقها للملاحة وعليه موسكو عاصمة الجالية المصرية القديمة . أجل هذه المدنية العظيمة قد وضع أسسها آباؤنا واسمها المصرى لا يزال يدل على ذلك

وفى مرورنا على نهر الفولجا نجد رافدين أحدهما يدعى برا . والآخر يدعى تانا وكلتا اللفظتين مصرية . فان برا هى بارا التى عربت باسم فرعون أى البيت الكبير وهذا الاسم لا تجده فى روسيا وحدها بل فى انجلترا (وست كورنوال) وفى افريقيا الغربية . كما أن تانا هى نفسها تانيس (تشاءان المصرية) وقد كان نهر الدون نفسه يسميه الاغريق تانيس كما كانت البلدة المقامة عند مصبه تسمى بهذا الاسم . فلنجمع هذه الملابسات كلها :

١ — نهر الفولجا يسمى نهر رع

٢ — نهر الدون يسمى نهر تانيس

٣ — لنهر الفولجا الآن رافدان أحدهما تانا (تانيس) والآخر باراً :فرعون

٤ — كان حول قزوين وفى روسيا الجنوبية أمة تدعى أمة الكولشيين كانت تختتن وتتكلم باللغة المصرية وتنسج الكتان على الطريقة المصرية ولها عادات مصرية

٥ — على بحر قزوين نفسه مدينة باطوم وبالقرب منها نهر أسيس وكلتا اللفظتين مصرية

• • •

والآن لننظر فى مدينة موسكو

إذا كان هذا الذى قدمناه صادقاً فيجب أن ننظر أيضاً الى موسكو ونتساءل لم لا تكون هذه المدينة العظيمة مصرية الاصل ما دام النهر العظيم وروافده تتسمى بأسماء مصرية ؟

ان المشهور أن الامير الروسى دولجوروكى هو الذى أسس موسكو سنة ١١٥٦ وانها اصبحت سوقاً عظيمة للفراء . ولكن لفظة موسكا تعنى الفراء (الجلود) فى اللغة المصرية القديمة . فالتفسير المعقول أن هذا الامير لم ينشيء المدينة فى مكان قفر بل على أطلال مدينة سابقة اذ كانت موسكو سوقاً للفراء أسسها المصريون وأطلقوا عليها اسم الفراء المصري ثم جاء دولجوروكى فبنى المدينة الحديثة

فها هنا مدينة تتجر بالفراء وتسمى الفراء باسمه المصري .

وتقوم على نهر يصعد عليه من نهر وروافدين ثلاثة أسماء مصرية .

وفى الجنوب ملابسات مصرية وأمة تتكلم باللغة المصرية بشهادة هيرودتس فهل يمكن أن نشك فى أن جالية مصرية أقامت هنا فى هذا الاقليم الجنوبى من روسيا وانها صعدت الى الشمال ولم تنقرض الا فى زمن قريب ؟

كتب الشهر الجديدة

التربية العلمية وعلم النفس

تأليف ايريس حبيب المصري . صفحاته ٤٤٠ من القطع الكبير
موضح بالرسوم . طبع بمطبعة الشمس

هذا الكتاب من الكتب المهمة فى التربية . وقد وضعته الآنسة المؤلفة عن درس وخبرة معاً . وهو ثلاثة أجزاء . الاول يبحث سيكلوجية الطفل وفيه فصول وافية عن صلة الجسم بالعقل . والعادات . والاستطلاع . والانتباه والتخيل . والذاكرة . والوجدان . والجزء الثانى يبحث نظريات التربية القديمة والحديثة مع فصل عن التعليم فى مصر منذ أيام محمد على . والجزء الثالث هو الجزء الفنى فى الكتاب إذ يختص بشرح الطرق التعليمية الحديثة . وبه فصول مختلفة عن التنظيم المدرسى . والامتحانات العامة . والأعمال اليدوية . والجغرافيا . والتاريخ الخ

والجزء الأول هو أهم الاجزاء للآباء إذ يبلغ ٢٣١ صفحة . وهو يشرح عقل الطفل أو سيكلوجية الاطفال . ومن واجب الآباء أن يقرأوا هذا الفصل بانعام ودقة . أما الجزء الثانى فيحسن بالجميع — معلمين وآباء — ان يقرأوه على سبيل الاستنارة عن النظريات التعليمية الحديثة . والجزء الثالث هو للمعلمين وحدهم

وتكتب المؤلفة بلهجة مأنوسة وفى عبارتها سلاسة وسهولة تجعل قراءة الكتاب مما يفيد ويمتع معاً . وقد أثبتت النظريات الحديثة قيمة السنوات الخمس أو الست الاولى من حياة الصبيان . وان الأخلاق التى يتخلق بها الانسان او الامراض التى قد يمرض بها ولو كان فى الخمسين من عمره قد تعود الى هذه السنوات . ولذلك قد ازدادت مسئولية الآباء فى تربية اطفالهم . ومن هنا قيمة الاستنارة العامة عن سيكلوجية الطفل . وهذا الكتاب هو احدى الوسائل لهذه الاستنارة

***

كتابان لجمعية نشر المعارف المسيحية

أعلام الفكر الفرنسي — مطبعة النيل ١٧٦ صفحة)
هل من تناقض بين الدين والعلم — « مطبعة مصر ١٣٩ صفحة »

يجب على القارىء العربي — والمسلم خاصة — أن يقرأ هذين الكتابين اللذين أخرجتهما جمعية مسيحية غايتها قبل كل شيء نشر الدين المسيحي . فان الكتاب الاول يبحث أعلام الفكر في فرنسا من بسكال الى فولتير الى روسو الى رينان الى غير هؤلاء وبعض هؤلاء قد صرحوا في ألفاظ أحياناً جارحة بأنهم لا يؤمنون بالله أو بالمسيحية . وقد يقال انهم يؤمنون بشيء ما . ولكن من السخرية أن نقول ان ايمان فولتير أو برجسون أو رينان يتفق وايمان جمعية تحاول نشر الانجيل والتوراة . بل هذا الكتاب الثاني قد يفتح أبواباً للشك لعل بعض المؤمنين لا يعرفونها . ثم هي قد تفتح بسهولة ويشق اغلاقها بعد ذلك . فما الذي دعا هذه الجمعية إلى نشر هذين الكتابين ؟

دعاها أو دعا رجالها الى ذلك أنها تعيش في سنة ١٩٣٧ فيجب أن تتكلم بلغة هذه السنة ويجب ألا تتجاهل هذه الشكوك أو هذه الصدمات التي يصدمنا بها العلم والتفكير الحديث . فمن الشجاعة ان نعمد الى النزاهة الفكرية ونجابه الحقائق . وإذا كان الدين المسيحي على حق فيجب أن يجابه هذه الحقائق ولا يقف منها موقف التجاهل الذي لا يرضي غير النعام ، وحتى النعام بريء من التعامي الذي يعزى اليه

والكتاب الاول قد قام بتأليف معظمه آنسة انجليزية مستشرقة . وأضيفت اليه فصول لكتاب آخرين . اما الثاني فقد الفه الاستاذ طمسون وترجمه الاستاذ حبيب سعيد . وكلا الكتابين اجتهاد جديد في الدين جدير بالاعجاب والثناء

أدب الطبيعة

تأليف مصطفى عبد اللطيف السحرتي صفحاته ١٣٠
من القطع الكبير من مطبعة التعاون بالاسكندرية

هذا الكتاب درس ممتع في النقد الادبي الحديث . فقد عرض المؤلف فيه لشعر الطبيعة في آداب مختلفة . مصرية وعربية وانجليزية وفرنسية وأمريكية . وقد لا يوافقه القارىء على بعض آرائه أو تعميماته ولكنه بلا شك سينتفع من عرضه ونقده . وهاك ما يقوله مثلا عن الصيرفي :

ومن حسن الحظ أن سعد الجو الادبي بشعراء من الشباب عبروا عن خواطرهم وشواهدهم فى الطبيعة فى قصائد ممتعة ، لا تقل عن قصائد الرواد السالفين أصالة وجمالا ، ونذكر من هؤلاء الشعراء الشاعر الوجداني حسن كامل الصيرفى وهو وتر من أوتار الطبيعة الرقيقة ، وله شعر رمزى حنون فى ديوانه « الالحان الضائعة » ، ففى قصيدته « حياتى » يقول

إذا الفجر حرر منى الجفون ... وأيقظ فى القوى الخائرة
وهب نسيم الصباح العليل ... يوزع أنفاسه العاطرة
ورنت على راقصات الغصون ... سواجع كالأنفس الشاعرة
صحوت أناجى خيالا جميلا ... وفى ناظرى رؤى ساحرة
فآخذ قيثارتى فى هدوء ... أوقع ألحانى العابرة !

ولهذا الشاعر الذى يدحر له الأدب المصري الحنان ، معان أصيلة فى الطبيعة ، فقد شبه شذى الزهر فى احدى قصائده نفثاته الحسرى فقال :

نعم ! أنت مثلى أيها الزهر مرغم ... وما هذه الالوان غير شيات
وما العطر الا أنة وتوجع ... كأصداء أنغامى ورجع شكاتى!

وله قصيدة « الشاطئان » ، وهى تماثل جميع قصائده ذات الأسلوب الأثيري ، وقد جاء فيها :

تعالى فى حمى الفجر ... نجول بين الأزاهير
فهذا ملك السحر ... يناجى ربة النور

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

عادة الذكاء

الذكاء والأخلاق توأمان لا ينفصل أحدهما من الآخر على الرغم مما يقال ضد ذلك . وانما ينشأ الشك لأننا نخطىء فهم الأخلاق أو الذكاء . فان البليد فى ذهنه هو أيضاً بليد فى أخلاقه . فنتوهم هذا الركود فى الأخلاق كالاحجام عن التطلع والامتناع عن النقد وضعف الطموح والقناعة بالقليل — نتوهم خطأ ان هذه الأخلاق حسنة وأنها تعود إلى الذكاء . ولكنها فى الحقيقة أخلاق بليدة راكدة ترافق الذكاء البليد الراكد

ولكن يجب أن نعرف أن منبع الذكاء هو نفسه منبع الأخلاق . فان الأخلاق عادات أى ستجابات قد تعودناها . وكذلك الذكاء عادات أو استجابات قد تعودناها . ويمكن القارىء أن يدرك قيمة العادات فى الذكاء حين ينظر إلى بعض الناس وكيف أنهم « اعتادوا » النظر الفكاهى للأشياء . فان هؤلاء الأشخاص يستنبطون النكتة الفكاهية من كلامنا وحركاتنا ومن الحوادث بل أحياناً من المصائب . وليس ذلك إلا لأنهم اعتادوا أن يستجيبوا لهذه الأشياء بالفكاهة

وكذلك الحال فى سائر ألوان الذكاء . فاننا قد نعتاد ان ننتقد أو نتطلع أو نتناول الموضوع الخفة أو الوقار وبالنقد والشك أو بالتسليم والتصديق . وكما أن الأخلاق أحياناً قد تدعونا إلى لاقبال أو الصدود كذلك الذكاء قد ينشأ من الاقبال كما تنشأ البلادة من الصدود

فنحن نصد عن الخمر ونكف أنفسنا عن كلمة السوء ونسمى هذا الصد وهذا الكف أخلاقاً حسنة . والتلميذ الذى تبدو بلادته فى احد الموضوعات انما قد صد عن هذا الموضوع من حيث لا يدرى . فهو يرفض أن يتفهمه . أى أنه يستجيب له استجابة سلبية كأنه يقول لا . ومن هنا البلادة الشاذة التى ترى فى بعض الصبيان والذكاء الشاذ الذى يرى فى بعض آخر . فان الفريق

الاول يصد ويرفض التفهم . والفريق الثاني راغب فى التفهم

والناس بالطبع يختلفون فى مقدار الذكاء الطبيعي الذي ولدوا به كما يختلفون فى هيئة الجسم ، ولكن الاختلاف المكسوب أكبر جداً من الاختلاف المولود . ذلك اننا نعتاد عادات مختلفة من الوسط الاجتماعي الذي نعيش فيه . وهذه العادات هى التى تعين لنا أخلاقنا حسناً وسوءاً ترافقها عادات أخرى تعين لنا ذكاءنا كيفاً وكماً

وكما أننا نستطيع أن نعود الصبي أن يستجيب بالشجاعة والثبات أو بالجبن والفرار أمام الخصم المفاجيء كذلك نستطيع أن نعوده أن يستجيب بالتطلع والنقد أو بالاحجام عنهما إزاء الحوادث والأشخاص والكتب

ولسنا بالطبع نتحدث هنا عن الصبي الأبله الذى لا نستطيع بالعادات وغرس الاستجابات الحسنة أن نصلحه . ولكنا نتحدث عن البلادة التى هى فى معظم الحالات استجابات سيئة

الزواج واليوجنية

ذكرت احدى الجرائد أن سيدة قد انتحرت . وقيل فى أسباب الانتحار انها وجدت نفسها بعد مرور عامين من الزواج انها قد أصيبت بمرض انتقلت عدواه من زوجها اليها ولا يمكن شفاؤه

وهذا الخبر المؤلم المحزن يجب أن ينبه الأمة والحكومة معاً . فان هناك شباناً يعرفون فى أنفسهم انهم مرضى بأحد المرضين الزهريين السفلس أو السيلان ومع ذلك يقبلون على الزواج وهم لا يبالون عدوى الزوجة أو عدوى الأولاد الذين يجيئون ثمرة لهذا الزواج . أو هم قد يجهلون عواقب هذين المرضين فلا يحجمون عن الزواج . فالفريق الاول يجب أن نضع عقاباً . والفريق الثاني يجب أن تقدم الارشاد والنور . وخير من هذين العملين أن تمنع الزواج إلا بعد كشف طبي دقيق تجيز فيه وقف الزواج أو تأجيله متى ظهر فى أحد الخطيبين مرض معد سواء أكان واحداً من هذين المرضين الزهريين أم كان مرضاً آخر كالتدرن

ولكن الأرجح أن الجمهور فى مصر لا يرضى بالكشف الطبي كما أن الحكومة قد تجد تكاليف هذا الكشف كبيرة . ولذلك يجب أن ينص فى قوانيننا على معاقبة الأزواج الذين تنتقل عدوى الأمراض منهم إلى زوجاتهم . وخاصة تلك الأمراض الزهرية التى لا يباليها أصحابها . فان مرض السيلان يوهم المريض انه من أتفه الأمراض وأخفها مع أنه يشك كثيراً فى أن المريض به يشفى مدى حياته . بل من المؤكد انه إذا انتقل إلى المرأة فانها تبقى مريضة به مدى حياتها . لأن

أعضاءها التناسلية غاية فى الاشتباك والتشعب ولا يعقل أنه يمكن تنظيفها

ولذلك فان الشاب الذى ينقل إلى زوجته هذا المرض يجب أن يثق أنه قد نقل اليها مرضاً سيلازمها مدى حياتها . وقد يكون سبباً فى عمى الاولاد . ومن هنا تتضح الجناية الكبرى فى الحماقة التى ينظر بها بعض الشبان إلى هذا المرض الوبيل

وكذلك الحال فى السفلس هذا المرض الزهرى الآخر . فانه على الرغم من شيوع الدواء الذى اخترعه أرليخ لا يزال كثير من الشبان يهملون التعالج . بل لقد عنيت حكومتنا بايجاد مستوصفات لهذين المرضين . ولكن حديثاً قصيراً مع أحد الأطباء الذين يعملون فى هذه المستوصفات يبين قصورها عن المعالجة ولا نقول القمع

والأمة التى تعنى بتأصيل أبنائها يجب أن تبدأ العناية بالزواج . وقد سنت قوانين كثيرة فى الأمم المتمدنة ليس لمنع المرضى فقط من الزواج بل لمنع الناقصين أيضاً سواء أ كان هذا النقص فى الجسم أم فى العقل . ولا نظن القارىء قد نسى التعقيم الذي تمارسه المانيا والولايات المتحدة . فان الأمم الذكية تعنى بتأصيل السلالات الانسانية التى تنتمى اليها بقصر التناسل على الأصحاء فى الجسم والعقل الخالين من الأمراض

وسهولة الزواج والطلاق فى مصر تحرىء كثيرين على الزواج . وهم لو كانو فى وربا لما تجرأو إذ هم كانوا يعرضون أنفسهم لجزاءات تختلف من الغرامه الفادحة فى صورة النفقة الى التعقيم

وبودنا لو تنتشر الثقافة الجنسية الصحيحة التى ترشد الشبان عن الاضرار البالغة التى يقعون فيها وطرق الوقاية منها أو معالجتها . فاننا لا نكاد نتخيل شاباً يعرف العواقب الهائلة فى أبنائه من مرضى السفلس أو السيلان ثم يجرؤ على الزواج قبل أن يثق بالشفاء . وهناك لفظة حاولنا إدخالها فى لغتنا قبل نحو ثلاثين سنة هى لفظة « اليوجنية » أى العلم الذي يبحث الوسائل لتحسين النسل أو تأصيله

فان لهذا العلم من الكتب والمجلات عدداً وافراً يبحث هذه الوسائل ويعنى أ كبر العناية بدرس الوراثة فى ألوان التفوق أو القصور الذهنى وأنواع النقص أو الكمال الصحى . ولا نكاد نعرف كاتباً يتناول هذا الموضوع فى اللغة العربية . ومجلاتنا تعنى إلا بالقيل والقال الذى يبلد الذهن ويحبب إلى الجمهور السخف

وهذه المأساة التى ذكرناها فى أول هذه الكلمة عن انتحار الزوجة المريضة تتكرر كل يوم بصور مختلفة قد لا تبلغ الانتحار . ولكنها ترى فى وفيات الأطفال وأمراض عيونهم وآلام الزوجة او عقمها . كما أن هناك مآسى أخري فى أولئك البله والناقصين الذين يولدون من أبوين قد

يكون أحدهما من أرومة ناقصة الذكاء أو عليلة الجسم . فالأمة فى حاجة إلى أن تستفيض فيها الثقافة الجنسية وإلى أن يعرف شبابنا وفتياتنا أصول اليوجنيه حتى لا يقدم أحد على الزواج الا بعد أن يثق بأن شريكته ليست فقط سليمة الجسم والذهن بل هى أيضاً من أسرة تمتاز بهاتين الميزتين وكذلك كل فتاة تطلب مثل هذه البغية من خطيبها وأسرته

موسولينى والبحار

إذا كنا نحمل على موسولينى أونبين ما فى الفاشية الايطالية من خسة ودناءة وتوحش فان هذا لا يمنعنا من أن نعترف للشيطان بحقه . فان الفاشيين الايطاليين قد أحيوا الزراعة فى بلادهم ووضعوا من القواعد الاقتصادية الصارمة ما جعل ايطاليا تحتفظ بثروتها وتزيدها وتكاد تخلق المال من العدم

وليس شك أن الشدائد التى تحيط بايطاليا تبعث فيها من الرجولة النادرة بل العاذة ما يجعل زعماءها يفكرون كثيرا فى تزويد وطنهم بما ينقصه من الحاجات الاقتصادية . وقد كانت هذه الشدائد سببا مدة الحرب الكبرى لأن تستغل المانيا الهواءفتستخرج منه السماد الكيماوى للزراعة بعد أن انقطعت عنها واردات شيلى من الأسمدة

ويذكر القراء أن ايطاليا مدة الحرب الحبشية أذاعت أنها اهتدت الى طريقة خاصة لصنع الأقمشة من اللبن . وقد ذكرت بعض الصحف أن عينات من الأقمشة التى تشبه الصوف ولها كثير من خواصه قد عرضت . واللبن تصنع منه الآن مصنوعات جامدة كثيرة مثل أكرة الباب ويد المظلة والأزرار والأقلام ونحو ذلك . ولكن اذا كانت ايطاليا قد نجحت فى استخراج قماش منه فان نجاحها يعد فوزا عظيما

وقد برعت ايطاليا فى صنع الريون أى الأقمشة الصناعية التى تسميها العامة « الحرير الصناعى » وذلك لكى تستغنى عن استيراد القطن . فان القطن تؤدي ثمنة للاقطار الأجنبية مثل مصر أو الهند أو الولايات المتحدة . أما الريون فتجد مواده الأولية فى غاباتها وأشجارها . وهى لذلك تدفع هذه الصناعة دفعاً شديداً موفقا

وقد فكر الفاشيون هذه الأيام أو منذ السنتين أوالثلاث الأخيرة فى استغلال البحر لاستخراج الأقمشة منه . وذلك أن فى البحر المتوسط محارة تشبه المروحة التى لم تبسط كل البسط . وهى كثيرة

على سواحلنا . وهذه المحارة تلصق بطين السواحل تحت الماء وتفرز نسيجاً بحيث تكون قاعدتها الى أسفل . ومن هذه القاعدة بين الصدفتين تخرج خيوط كأنها الجذور تربط المحارة في المكان الذي هي عليه حتى لا يجرفها التيار . وقد كان الرومان يستخرجون هذه المحارة ويستعملون هذه الخيوط للاقمشة النادرة التي يستطرفها الامبراطرة ويلبسونها على سبيل التزين والابهة . ولكن الفاشيين مدة الضغط الاقتصادي الذي أحاط بهم وقت الحرب الحبشية حين سلطت عصبة الامم عليهم الجزاءات الاقتصادية فكروا في كل شيء . وكانت محارة المروحة هذه بعض ما فكروا فيه . ولذلك نشطوا في صيدها واستخدام خيوطها وقد حققوا جزءاً كبيراً من النجاح في ذلك

وفي ايطاليا عيون ساخنة كثيرة تستخدم قوتها هذه الأيام للاغراض الصناعية . فان القوة تكون حيث يكون التفاوت بين حرارتين والعبرة باستنباط الآلة التي تستخدم هذا التفاوت للفوائد الاقتصادية

ومع أن الحروب من الكوارث العظمى التي تبتلى بها الأمم فانها كانت سبباً لايجاد صناعات جديدة كثيرة . وذلك لأن الضيق الذي ينشأ من الحصارات البحرية أو البرية يفتق الاذهان الى الاختراع . فان بريطانيا حاصرت فرنسا أيام نابليون ومنعت عنها سكر القصب فاخترع الفرنسيون سكر البنجر . وبريطانيا حاصرت المانيا مدة الحرب الكبرى ومنعت عنها سماد شيلي فاخترع الالمان سماد الجو . وهذه ايطاليا أغرت عصبة الأمم بحصارها مدة الحرب الحبشية ومنعت عنها القطن وغيره من المواد الأولية فعمدت الى الريون وزادت المصنوع منه ثم ارتادت سواحلها واستخرجت محارة المروحة تصنع منها الأقمشة كما فكرت في اللبن واستعمال مشتقاته أقمشة ومصنوعات أخرى

وعلى هذا يجب أن نقول ان في بعض الشرور بذرة من الخير وان شياطين الفاشية الايطالية الذين ذبحوا الأحباش وفتكوا بالكرامة الانسانية قد يحسنون الى العالم بايجاد صناعات جديدة لا عهد له بها من قبل

دستور الهند

يعرف القراء أن الحكومة البريطانية منحت الهند دستوراً وان الانتخابات قد أجريت بما يطابق هذا الدستور وأعلنت النتيجة ودعيت البرلمانات في أول ابريل . وقد الفت الوزارات بالعمل في جميع الولايات التي فازت فيها أكثرية معينة تبرر ايجاد وزارة مسئولة منها . ولكن حدث في ست ولايات كبرى هي بومباي ومدراس واوريسا وبهار والولايات المتحدة والولايات الوسطى أن أنتصر المؤتمر فرفض تأليف الوزارات

أما السبب للرفض فيرجع الى أن المؤتمر الهندى وهو الهيئة الشعبية التى تسعى لاستقلال الهند يطلب من الحكومة الهندية أن تتعهد بالا تستعمل حقها فى المنع اى أن الحاكم الانجليزي (الذى يمثل امبراطور الهند) يجب عليه ألا يلغى قانونا أقرته البرلمانات الهندية . وقد رفضت الحكومة الهندية أن تجيب هذا الطلب . وحاول رجل السلام غاندى أن يسعى للسلام فطلب « كلمة شرف » من نائب الملك بالا يستعمل هذا الحق ما دامت البرلمانات تؤدي واجباتها فى نية حسنة . فرفض نائب الملك أعطاء هذه الكلمة . وكانت النتيجة أن المؤتمر دعا جميع أعضائه والمنتمين اليه أن يرفضوا تأليف الوزارات وباتت ست ولايات من أكبر الولايات فى الهند بلا وزارة تؤديدها أكثرية فى البرلمان

والهند نحو ٣٦٠ مليون منهم ٢٨٠ مليون يعيشون فى ولايات بريطانيا أى ليس عليهم حكام وطنيون كالراجا أو المهراجا بين الهندوكيين أو النواب بين المسلمين. وأكثر من ثلاثة أرباع هؤلاء الـ ٢٨٠ مليون يعيشون فى الولايات الست التى فاز فيها المؤتمر والتى أمسى بالا تؤلف فيها وزارات من الاحزاب الفائزة

ومعنى هذا أنه بعد خمسة أشهر أي فى أول اكتوبر من هذا العام ستلتئم البرلمانات الهندية . ثم تنظر فى هذه الولايات الست الكبرى فترى وزارات قد عينها النائب العام من احزاب الاقلية فتقترع وترفض الثقة بها . فتسقط الوزارات . وعندئذ يعود النائب العام فيحل هذه البرلمانات ويعين مواعيد لانتخابات جديدة

* * *

هذه هى المعضلة القائمة فى الهند . وهى معضلة خلقها المؤتمر وكان يمكنه تفاديها حتى يرى كيف يسير الدستور ، وما هى الطريقة التى سيستعمل بها حق « المنع » . وكذلك كان يمكن النائب العام أن يصالح المؤتمر ويقبل اقتراح غاندى باعطاء كلمة الشرف بأنه لن يستعمل حق المنع إلا فى حدود المصلحة العامة أو حدود أية كلمة أخرى غامضة يمكن بها عبور الازمة

ومع أن هذا الدستور الجديد قد عده رجال المؤتمر نكبة وطنية حتى احتجبت الصحف الهندية يوم أول ابريل احتجاجاً عليه فان مما لا شك فيه أنه خطوة بل وثبة للهند إلى الأمام . فان الهند قد عرفت به معنى الحكم البرلمانى والتصويت والانتخابات وأدركت مغزاها فى سلطة الأمة . وقد منح حق التصويت والانتخاب للنساء فدهين وأدين واجبهن . وفرق عظيم بل هو فرق بين النور والنار هذا الفرق بين الأرملة الشرقية التعسة التى كانت تحرق نفسها بعد وفاة زوجها وبين المرأة المتفرنجة الشريفة التى تقصد الى صندوق الانتخاب لكى تختار من ينوب عنها أو التى

ترشح نفسها للانتخاب وتعلن عن برنامجها وتدافع عنه وتدعو اليه

وقد أبدى الهنود شيئاً كبيراً من التطور الاجتماعي في هذه الانتخابات . فقد سقط من المرشحين ثلاثة من الراجوات (أى الأمراء) وسقط ثمانية من الوزراء السابقين كما سقط الثاني من رؤساء المجلس التشريعي السابق . وهذا برهان على أن عقلية الهنود قد غسلت من أدران شرقية كثيرة

ولا نستطيع أن نتكهن بما سوف ينتهي اليه الخلاف بين المؤتمر وبين الحكومة الهندية . ولكننا نظن أن لا بد من التسوية والصلح وأن المؤتمر سيخرج منها فائزاً أو كالفائز

موسوليني والامهات الحبشيات

يذكر القراء أن التلغرافات نقلت الى الجرائد اليومية خلاصة لمقال نشرته الصنداي اكسبريس الجريدة الانجليزية المعروفة عن كتاب ظهر حديثا باللغة الايطالية . وخلاصة التلغراف ان هذا الكتاب يثبت أن الايطاليين كانوا ينوون الحرب ويتهيأون لها قبل حادث وال وال الذى عد السبب المباشر للمصادمة الاولى بين القوات الايطالية والقوات الحبشية

وقد وصل الينا هذا العدد من هذه الجريدة وقرأنا المقال وهو حافل بمقتبسات كثيرة من هذا الكتاب الذى ألفه المارشال دو بونو . وهو القائد الذي قام بالفصل الأول من هذه الحرب التي لا يعرف التاريخ أسفل ولا أحط ولا أخس منها

ومن أعجب العجب أن موسوليني نفسه قد كتب المقدمة لهذا الكتاب . وقد أثبت بهذه المقدمة انه (الآن) يكره النفاق ولا يبالى أن يقول انه هو ودو بونو وكبراء الفاشيين قد دبروا هذه الحرب وانهم وقفوا امام العالم بوجهين احدهما وجه الغاضب للحق الذى يتهم الاحباش بالتحرش ويعتصم بالفضيلة أمام عصبة الامم ووجه آخر باسر كاشر يعد الموت للاحباش المساكين ويوزع بين امرائهم وقوادهم الذهب لكى يحجموا عن القتال ويخذلوا الامبراطور المجاهد لاستقلال بلاده .

ونحن ننقل بعض هذه المقتبسات لكى يعرف القراء مقدار المجانة التى ينظر بها هؤلاء الفاشيون للاخلاق . فان هذا المدعو دو بونو يقول بالحرف :

« كان من الرأى الحازم للزعيم أن تنهي المسألة قبل نهاية سنة ١٩٣٦ . وكنا في ذلك الوقت فى خريف سنة ١٩٣٣ . ولم يتحدث الزعيم مع انسان عن الاعمال الحربية القادمة فى أفريقيا الشرقية . وكنا نحن فقط ـ أنا وهو ـ على علم بما سوف يحدث . ولم تفلت من أحدنا كلمة الى الجمهور »

فانظر أيها القارىء الى هذا القول ، فان التدبير قد تم فى خريف سنة ١٩٣٣ أى قبل الحرب بعام كامل تقريباً ومع ذلك قيل ان الاحباش فى نوفبر سنه ١٩٣٤ تحرشوا فى والوال بالايطاليين ومع ذلك أيضا لا يخجل دوبونو من التصريح بهذا التدبير ولا يخجل موسوليني من كتابة المقدمة لهذا الكتاب

ثم يقول هذا المدعو دوبونو بالحرف .

« وقد بسطت هده الاعتبارات أمام الزعيم . فقلت : أن الأحوال السياسية فى الحبشة فى غاية السوء . ولكن لن يكون من الشاق علينا أن نتمم تمزيق الامبراطورية إذا كنا سنحسن العمل على الاصول السياسية

« فوافقنى الزعيم ثم أمرنى بأن أسير إلى الغاية بأسرع ما يمكن . وأن أعجل بالاستعداد . فقلت له : سنحتاج الى المال . الى مال كثير . فأجابنى موسولينى : لن ينقصنا المال »

وبقى هذا التدبير — لا بل هده المؤامرة — سراً حتى أن هيئة اركان الحرب فضلا عن الجمهور لم تدر عنه شيئاً فى أول الامر . وكان موسولينى يحفظ جميع الوثائق الخاصة بهذا التدبير عنده لأنه كان يخشى أن تذيع هذه المؤامرة . ثم يقول المدعو دوبونو بالحرف :

« وفى ٢٠ نوفبر من سنة ١٩٣٤ وضع رئيس الحكومة نفسه الارشادات ونظام الاعمال الحربية لحل المسألة الايطالية الحبشية . ولم ينشر من هذه الارشادات سوى خمس نسخ »

ووجد موسولينى أن الامبراطور يرفض أن يكون البادىء بالحرب . فكتب يقول بالحرف : إن « النجاشى يرفض أن يكون البادىء فى هذه المصادمة » . .

وفى ٨ مارس من سنة ١٩٣٥ كتب الى المدعو دوبونو يقول : « إنى أعتقد تمام الاعتقاد انه ما دمنا قد اضطررنا إلى أن نكون البادئين بالقتال فى أواخر اكتوبر أو سبتمبر فان علينا أن نجهز قوة مؤلفة من ٣٠٠٫٠٠٠ مقاتل تؤيدها ٣٠٠ إلى ٥٠٠ طائرة و ٣٠٠ أتومبيل سريع . وحتى مع توقع المناقشات الدولية (عصبة الأمم الخ) فاننا يجب أن نسرع السير »

ويشرح دوبونو مهمته فيقول انها كانت مزدوجة . إذ كان عليه أن يقوم من جهة بالهجوم الحربى . وان يوزع من جهة أخرى أموال الرشوة على الأحباش الموالين للأمبراطور لكى يخذلوه . وهو يصف هذه المهمة الثانية بقوله بالحرف :

« منذ بداية الحملة كانت تبدو لنا إمارات النهاية لهذا التمزيق السياسى وأن هذا التمزيق قد كف عنا قتال ٢٠٠٫٠٠٠ جندى حبشى »

هذا هو بعض المقتبسات التى نقلتها الصنداى اكسبرس من هذا الكتاب . وهى تبين روح

الشر والغدر الذى كان تمتلىء به قلوب الفاشيين نحو الحبشة كما تبين أن دعوى التحرش الذى اتهم به الأحباش كاذبة . وهى تبين زيادة على ذلك أن موسولينى لا يبالى أن يقول انه المعتدى . وهو بهذه الجرأة قد أثبت أنه (الآن) رجل يكره الكذب

وقد أثبت دوبونو بهذا الكتاب أن الدم الذى كان يجرى فى أسرة بورجيا لا يزال حياً يجرى فى بعض الايطاليين . فان أعضاء هذه الأسرة الشقية كانوا يقتلون الناس بالسم غدراً وختلا . وقد قتل موسولينى ودبونو الأحباش غدراً وختلا

وفى الحبشة عشرات الألوف من الأمهات الحبشيات ينحن الآن ويندبن أبناءهن المقتولين بالغازات والقنابل الايطالية . وفى رومة يشرب أبناء أسرة بورجيا النبيذ فرحين متهللين بالنصر . فلعنه الله على أسرة بورجيا وتقاليدها

لعنة النوم

اذا نظرنا الى القيم الانسانية لم يسعنا الا الاعتراف بأن النوم هو أسوأ العادات الانسانية . إذ هو موت وقتى نغيب فيه عن الحلو والمر فى الحياة فلا نفرح ولا نحزن ولا نزداد اختبارا ولا نمارس لذة . وقد يقال ان النوم لازم للصحة . وربما يكون الأمر كذلك . وعندئذ يجب أن نقول أن من مأساة حياتنا أن يكون النوم لازم الصحة أى أننا لا يمكننا أن نعيش سبعين سنة دون أن نقضى عشرين سنة على الأقل نقضيها منطرحين على الفراش ونحن غائبون عن الوجدان لا نحس ولا نعقل

قبل أسابيع كنت مع أحد الانجليز . وهو يقارب السبعين . وقد عقد معى ميعاد المقابلة هو منتصف الساعة الرابعة . وفى مثل هذه الساعة قد اعتدنا أن نموت فى مصر أى ننام نوم القيلولة . ولكننى اضطررت الى مقابلته وسألته فى غضون الحديث هل لا يقيل ؟ فأجابنى بأنه لم ينم قط فى النهار

فلنفهم هذا نحن المصريون . رجل يبلغ السبعين ولم ينم قط فى النهار . فلماذا ننام أى لماذا نموت نحن فى النهار

النوم علتان احداهما نفسية والأخرى جسمية . فنحن ننام اذا سئمت النفس الدنيا وكرهت مواجهة الواقع . أما إذا أحببنا الواقع فان النفس لا تطلب النوم الاعند اعياء الجسم . وهذا قليل ونحن أحيانا نكره الدنيا ونطلب هذا الموت المضمر لاننا لا نطيق قراءة كتاب سخيف أوحديث رفيق ثقيل أو لأننا متشائمون . فقد كان نابليون أيام انتصاراته يقتنع ببضع ساعات من النوم لأنه

كان يشتهى الحياة ويلتذها ويفرح بالانتصارات . ولكنه فى ليلة واترلو عقب الانكسار نام أكثر من ١٢ ساعة . والمقامر الذى يهتم بالقمبة لا يحتاج الى نوم والمحب العاشق كذلك . ولكن السأم يبعث على النوم أى كراهة الحياة

فهل نحن فى مصر ننام كثيراً لأننا نكره الحياة أو هل الواقع فى هذه الحياة لا يرضينا فنحب أن نهرب منه كلما استطعنا ذلك ؟ وهل الانجليز يحبون الحياة فيكرهون النوم . أو بكلمة أخرى هل نحن فى ادماننا النوم بعد الظهر وفى الليل نشبه نابليون ليلة واترلو فى حين أن الانجليز يشبهونه فى وقت انتصاراته ؟ هل نحن مهزومون فى الحياة قد استقر فى عقلنا الباطن أننا مهزومون ؟

ليس شك فى أن نفوسنا مريضة لأننا فى طورنا الاجتماعى الحاضر غير راضين عن الدنيا الجديدة وغير قانعين بالدنيا القديمة . والانسان فى مثل هذه الحال قد يهرب من الدنيا بما هو أسوأ من النوم فى مثل الخمر أو الحشيش أو حتى المخدرات القاتلة الأخرى

ولكن للنوم علة بل عللا أخرى جسمية . فان الاعياء يبعث على النوم . ولكن هذا الاعياء قلما نحس به لأننا لم نتعود الجهد والكد فى العمل . وأغلب الظن ان العلة الجسمية الأصلية لكثرة النوم أو على الأقل لحماية النوم فى النهار . فاننا نثقل أنفسنا بالطعام فى الغداء فيسترخى الجسم كله وينحصر جميع نشاطه فى القناة الهضمية ويشملنا ذلك التخدير الذى يشمل أفعى البوا عقب التهام الفريسة . أو نحن بكلمة اخرى نغرض كل يوم وننام حتى نشفى

ويختلف الغداء الانجليزى من الغداء المصرى من حيث أن الثانى يبلغ خمسة أضعاف الأول وهو لذلك جدير بأن يخدرنا ويقسرنا على النوم

فلكى نعيش أكثر مما نعيش الآن يجب على الأقل أن نلغى نوم النهار اما بالغاء الغداء وأما بتخفيفه حتى لا يقهرنا على النوم ــ هذه اللعنة التى كتبت علينا والتى يجب أن نخفف من آثارها كلما استطعنا

يجب أن نلبس القبعة

أجل يجب أن نلبس القبعة

ويجب أن نلبسها ولكن ليس لأنها صحية أكثر من الطربوش تقينا الشمس والمطر . فان هذا الاعتبار ليس كبير القيمة إذ أن صحتنا تتحمل شمس بلادنا والمطر قليل عندنا . ويمكن الذين

يخشون الشمس أو المطر أن يحتموا منهما بظلة اذا شاءوا . فلا يجوز لاحد أن يقول ان القبعة أصح للجسم من الطربوش

وكذلك لا يجوز لاحد أن يقول انها أرخص من الطربوش . وان كان لهذا الاعتبار قيمته فى أمة فقيرة مثل مصر . فان الطربوش الذى نشتريه باربعين أو خمسين قرشاً يمكننا أن نشترى مايعادله من القبعات بثمانية قروش بل نزيد على ذلك أن القبعة يمكن أن تصبح صناعة وطنية لان جميع موادها الاولية فى مصر نجدها فى القطن والصوف وغيرها ثم هى مع ذلك سهلة الصنع يمكن الفلاح أن يجدلها بيده فى فراغه بل هو يفعل ذلك الآن عند ما يجد نفسه مضطراً الى ركوب النورج فى درس القمح

لا . لا نقول انه يجب أن نتخذ القبعة لأنها صحية أو لأنها رخيصة أو لانها يمكن أن تعود صناعة وطنية فان كل هذه الاعتبارات ليس لهاقيمة كبيرة فى نظرنا وعندنا عادات قد تعودناها وهى تكلفنا فى صحتنا وما لنا أكثر مما يكلفنا الطربوش ، وهى أحدر بالتفاتنا من هاتين الناحيتين أكثر من الطربوش . ولكنا ندعو الى اتخاذ القبعة لسببين اثنين

السبب الاول أننا اذا اتخذنا القبعة فاننا نعمم الزى بين جميع أبناء الامة أى أن ١٦ مليونا يلبسون القبعة الرجال والنساء والاوانس والصبيان سواء ساكن الريف وساكن المدينة . أما الآن فان الذين يلبسون الطربوش لا يزيدون على ربع مليون أفندى بل ربما كانوا أقل وهم بهذا الحساب لايزيد عددهم على واحد مطربش بين ٦٤ غير مطربشين . ومن الكذب أن يقال لهذا السبب أن الطربوش شعار قومى أو وطنى فان مثل هذا الشعار لكى يوصف بالقومية أو الوطنية يجب أن يتخذه جميع السكان أو على الاقل أكثريتهم اما أن يكون عدد من يتخذونه أقل من اثنين فى المائة ثم يقال بعد ذلك انه يجب علينا أن نحتفظ به ونعلق عليه كرامتنا فهذا هراء أو سخف أو نصب وخبث

ولا يمكن أن نطلب من جميع السكان أن يتخذوا الطربوش لانه غالى الثمن فان الفلاح الذي لايزيد دخله فى العام على ثمانية أو عشرة جنيهات لا يمكنه ان يقتصد منها عشرين أو ثلاثين قرشاً يشترى بها طربوشا سيىء النسج يحول لونه بعد أيام

فنحن نطلب القبعة لاننا نعتقد أن الفلاحين مصريون مثلنا وأن توحيد الزى « المصرى » يجب أن يشملهم كما يشملنا . لأن مصر ليست ملكا خالصاً لربع مليون افندى هم الذين نعلق بهم الكرامة الوطنية ونتحدث عنهم كأنهم كل القومية وكل الوطنية

فهذا اذن سبب لاتخاذ القبعة .وسبب آخر نهتم له كل الاهتمام هو أن القبعة هى الزى العام فى

العالم المتمدن كله يلبسها الياباني كما يلبسها الصيني أو الايراني أو التركي أو اللبناني أو الانجليزي أو الامريكي ولا نحب أن نشذ عن العالم المتمدن وقد سبق أن اتخذنا البنطلون فلم يقل أحد أننا أضعنا قوميتنا باتخاذه فلماذا نضيع قوميتنا باتخاذ القبعة ؟

ولاتخاذ القبعة قيمة سيكلوجية فان الانسان يتأثر بلباسه الذي يخلق له جوا نفسياً خاصا فاذا نحن لبسنا كما يلبس المتمدنون سهل علينا أن نعد أنفسنا أعضاء فى هذه الاسرة المتمدنة التي تعيش فى قارات العالم الخمس وعندئذ يسهل علينا أيضاً ان نتخذالاراء العصرية فلا نعود شرقيين منحطين نرضى بالحكومات الشرقية المستبدة وحجاب المرأة والايمان بالعقائد والخرافات والقناعة بالزراعة والفقر وانما نعمد الى جميع العادات الاوربية الراقية فنتخذها ونعمم الصناعات الكبرى فى بلادنا وننشر الايمان بالعلوم الحديثة ونفتح فى عيشنا حتى يعود البيت المصرى بيتاً عصرياً ونعنى هنا بالبيت المصرى بيت الفلاح قبل بيت الافندي

بل نزيد على هذا ونقول اننا نحب أن نرى الفلاح فى الملابس الاوربية كلها البنطلون والقبعة . وليس القبعة وحدها . ونحب أن نعجل فى هذا التطور بالالتجاء الى الحكومة حتى تجعل هذا اللباس الزامياً على جميع أبناء الامة

ان هذا الجلباب الذي يلبسه جميع الشرقيين المنحطين انما هو لباس الدعة والراحة عندالاوربيين فى منازلهم فاذا خرجوا ونشطوا لبسوا البنطلون ونحن ما دمنا نطلب النشاط لابنائنا فاننا يجب أن نتخذ ملابس النشاط كما يجب أن نتخذ القبعة شعار المتمدنين

فراغ شبابنا المتعلمين

يمكنك أن تعرف الشاب العاطل الذي استقر فى ذهنه أنه لا أمل له فى العمل . فان احساسه بأنه عضو عقيم فى الهيئة الاجتماعية يرتسم على وجهه بل على بزته وفى مشيته وهيئته العامة . فانك ترى اهمالا عاما فى كل هذه الأشياء

وهو اهمال يدل على اليأس والركود والعجز . فهو يرى نفسه فارغا . ولكن فراغه عقيم كأنه خواء . ويرى أن أي مجهود عبث فهو يترك العناية بصحته وهيئته وملابسه . بل هو قد يتطور من ذلك الى ترك العناية بأخلاقه . وهذا هو الواقع الذى نراه أحياناً . فان الشاب العاطل الذى يدوم عطله أشهرا أو سنين تتفكك عرى أخلاقه وقد تنحل شخصيته . وهو فى هذه الحال قد ينتهى

الى أسوأ العواقب حتى لقد يفرج عن يأسه بالالتجاء الى الخمر أو غير ذلك

مثل هذا الشاب المتعلم اليائس كان يمكنه أن يحتفظ بأخلاقه ويستبقى شخصيته بل كان يرقى خلاقه وينمى شخصيته لو أنه كان يشغل ذهنه بدراسة ماينتجه منها الى هدف يبعث فيه الطموح الشريف للرقى الاجتماعي أو الثقافى . وكل درس يشغل الذهن . ولكن الطموح ينبعث اكثر لو كانت هناك فى نهاية المرحلة درجة أو شهادة يقصد الى نيلها

هذا الدرس سواء للمتعلم العاطل أو للموظف الذى يجد فراغا لايعرف كيف يستغله ، ينظم ذهنهما وأخلاقهما ويكون شخصيتهما . لانه يفتح أملا يأخذ مكان اليأس وهذا الامل يبعث النشاط والهمة واليقظة

وقد قام أحد العلماء السيكلوجيين بتجربة تدل على الاثر النفسى السيء الذى يحدثه الفراغ بين العاطلين اذا استقر عندهم أن عطلهم دائم لاعلاج له . فان اليأس الذى ينشأ من هذا الاعتقاد يميت النشاط ويقتل الهمة ويمحو الطموح . فقد وجد هذا العالم باحصاءات قام بها ان العاطلين فى احدى المدن النمسوية على الرغم من وفرة الوقت الذى يجدونه للقراءة والتردد على المكاتب البلدية المجانية لايقرأون الا قليلا اى أقل جدا مما يقرأون حين يكونون عاملين فى أحد المصانع أو المتاجر فانهم هنا لايجدون من الفراغ غير القليل جدا ولكنهم ـ للطموح الذى يبعثه العمل ـ يقبلون على القراءة ويستزيدون فى الاستنارة ويجدون فى الدرس

فما هو مغزى هذه التجربة ؟

مغزاها أن الأمل يبعث النشاط فى النفس والرغبة فى الرقى وينظم الحياة بعادات حسنة كالقراءة أو الرياضة . أما اليأس فيشل النفس ويعطل الحركة ويشتت القوى وقد يبعث على عادات سيئة يلجأ اليها اليائس على سبيل الهرب من الغم أو الكبت . ولذلك فان ساعة واحدة يمكن — مع الامل — الانتفاع بها للرقى الشخصى حين لا يمكن الانتفاع من يوم كامل مع اليأس

ونحن مكلفون لهذا البب أن نبعث الأمل فى شبابنا والانقفل امامهم طريق الطموح والرقى فان الشاب الذي حصل على البكالوريا وبقى عاطلا يجد فراغا عملا نهاره وبعض ليله والشاب الذى حصل على هذه الشهادة وتوظف فى الحكومة أو فى الاعمال الحرة لايزال يجد فراغا يستغرق نصف نهاره وبعض ليله وهما اذا استقر اليأس فى نفسيهما فانهما يكفان عن الجهد الشريف للرقى الذهنى أو الاخلاقى . ولكننا اذا بعثنا فيهما الطموح فانهما سرعان ما يجدان النشاط فينظم كل منهما حياته ويستخدم فراغه فيما يفيد من الدرس

وصحيح أنه يمكن البعض أن يستخدموا أذهانهم للدرس المنتج ولو لم تكن نصب أعينهم شهادة

أو درجة جامعية ولكن هذا البعض قليل . والاختبار يدل على أن معظم ما يقرأ فى هـذه الحال سخف وهذر يبلد الذهن بدلا من أن ينشطانه

والانتساب لاحدى كليات الجامعة يرسم للطـالب خطة ويعين له برنامجا ويضع أمـامه هدفا فكأنه ازاء معلم يرشده الى مواد الدراسة فى موضوع بعينه كالآداب أو التعليم أوالحقوق أو غير ذلك ويبعث فيه الطموح الشريف لنيل درجة جامعية. وما هو أن ينتسب الشاب حتى نرى أن عاداته قد تغـيرت . فانه يترك القهوة التى كان يقضى فيها وقته للقيل والقـال ويراقب نفسه فى العادات الاخرى كالتدخين أو الشراب ويشرع فى تنظيم أخلاقه واستخدام ذهنه وتكوين شخصيته وهو هنا غير ما كان فى السابق . فهو يعنى بنشاطه وذهنه فلا يبعثرهما فى السخف من الرياضة أوالقراءة

وخلاصة القول أننا يجب علينا ألا نشعر الشاب بأن فراغه عقيم . سواء أ كان هـذا الفراغ كليا عند الشاب العاطل أم جزئيا عند الموظف . لأن هذا الشعور بالعقم فى الفراغ يؤدى الى شعور بالعقم فى الحياة . وهو باب لمساوىء لاتحصى . والانتساب لكليات الجامعة يقضى على هذا الشعور

فهرست

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً

وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً لسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر